مهدي حشمتي

خليفة اللّه الإنسان الكامل

مآثر الشيخ مرتضى مطهري

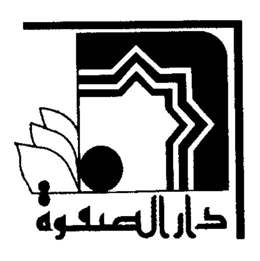




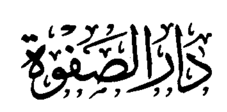
خليفة الله الإنسان الكامل

في مآثر الشيخ مرتضى مطهري

الطبعة الاولى
١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م



ISBN: 9789953545226



للطباعة والنشر والتوزيع

بيروت - بئر العبد - خلف محطة دياب - ص.ب: 25/91 الغبيري

فاكس: 00 29 55 (9611+) - هاتف: 42 49 27 (9611+) - 49 01 80 03

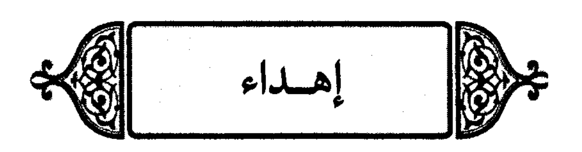
E-mail: dar_asafwa@hotmail.com

خليفة اللّه
الإنسان الكامل

في
مآثر الشيخ مرتضى مطهري

مهدي حشمتي



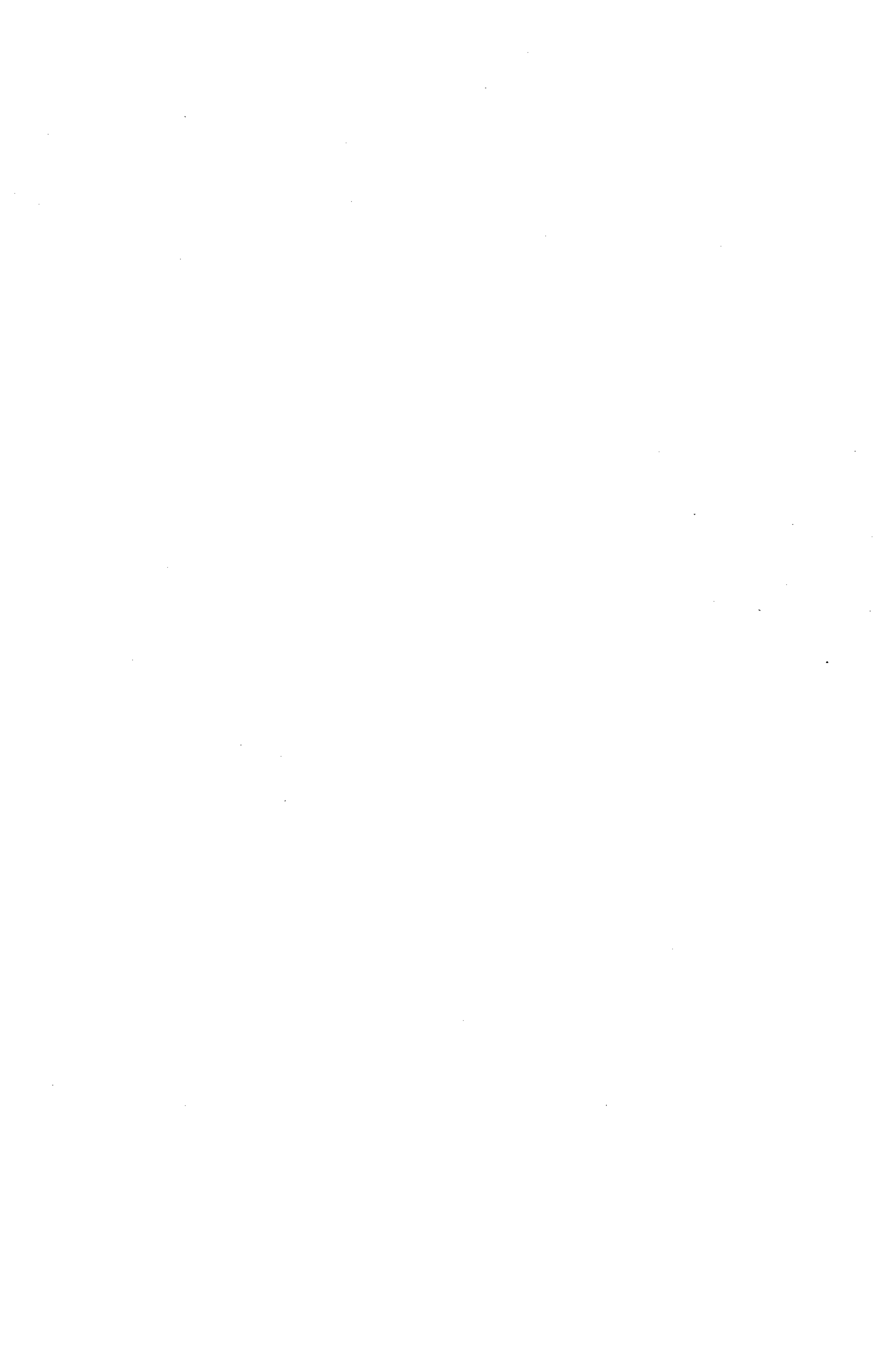


إهداء

إلى روح الرسول الأكرم والأئمة الأطهار (صلوات الله عليهم أجمعين) الهداة الحقيقيون للبشرية.

ولروح الإمام الخميني (قدس سره) وأرواح الشهداء الذين أحيوا الحرية والمقاومة، وجدّدوا الإسلام بكلامهم ودمائهم في هذا العالم، في القرن الحاضر.

مع الشكر الجزيل للمترجم أحمد عودة.



المقدّمة

الإنسان عصارة الخلق وخلاصة الخلقة، ومصداقه قول أمير المؤمنين عليه السلام:

«أتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر»[1].

من هنا فإن معرفة الإنسان ومعرفة أبعاده الوجودية وسلوكه، بالإضافة إلى سائر الأمور المتعلقة به، من أهم المواضيع والمباحث وهي أساس ومنطلق جميع العلوم والمعارف الإنسانية.

ويمكن القول إن الإدارة الصحيحة للإنسانية وهدايتها الحقة، وتحقيق هدف الوصول إلى مجتمع سالم ومتسامي، يبقى تحققه مستحيلاً في ضوء انعدام معرفة الإنسان الصحيحة.

إن أقلام العلماء وآراءهم في شتى العلوم الإنسانية والتجريبية

(١) تفسير آية: وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحياً...، مركز المصطفى.

فيما يتعلق بأبعاد هذا الوجود المجهول الحقيقة، تبقى عاجزة ويعتريها نقص واضح، من هنا فإن هذا الكتيب بما يحتويه محاولة لتعريف الإنسان وتسليط الضوء على أبعاده الوجودية، وسائر متعلقاته من خلال نظرة الإسلام وكلام الوحي، الذي هو كلام خالق هذا الإنسان، والذي يعبّر بأفصح البيان وأبلغ الكلام، وأشمل التعابير وأجمعها على الإطلاق، ويبيّن جميع الأبعاد الخافية لهذا الموجود المجهول.

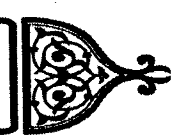
إن المعارف والمواضيع التي يحتويها هذا الكتيّب بين دفتيه هي عبارة عن خلاصة مستفادة من آثار الشهيد الشيخ مرتضى مطهري الذي قال فيه الإمام الخميني (قده): إن الشهيد العالي الشيخ مرتضى مطهري مفكر وفيلسوف وفقيه رفيع المستوى ابن عزيز لي... آثاره كلها مفيدة وصحيحة ومطابقة للمباني الإسلامية وللقرآن دون استثناء.

لقد طرحت هذه المواضيع في إطار وأسئلة أساسية مبنيّة على ما تركه الشهيد مطهري من آثار، ما عدا البند الواحد والثلاثين المتعلق بالجبر والاختيار، فإنه من كتاب شرح تجريد الاعتقاد للخواجة نصير الدين الطوسي (شرح جمال الدين عبدالله) وكتاب أصول الكافي، وذلك لتوضيح المطلب.

أرجو أن يكون هذا العمل المتواضع خطوة إلى الأمام، باتجاه المعرفة الفضلى للإنسان، وكيفية التربية الإسلامية الصحيحة، والتقدم بالمباحث والعلوم التربوية، وحجراً في بناء إدارة وترشيد المصادر الإنسانية والمحيط التعليمي والتربوي.

وما التوفيق إلا من عند الله

جمادى الأولى ١٤٣٠



١ ـ أسماء الإنسان؟[١]



أ ـ إنسان:

وردت هذه الكلمة في القرآن الكريم «٦٥» مرة، وبالرجوع إلى الموارد التي ذكرت فيها يظهر أن المراد من كلمة إنسان ليس الجسد الظاهري أو الصورة الخارجية، بل المقصود هو الباطن والخلقة، واستعداد الإنسانية وفطرتها وعواطفها وشعورها من مثل قوله:

﴿وَٱلۡعَصۡرِ * إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ * إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ (العصر ١ ـ ٣).

﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾ (إبراهيم ـ ٣٤).

﴿لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ﴾ (النجم ـ ٣٩).

وإذا نظرنا إلى الآيات بتأمل، يبدو المراد ليس الصورة

---

(١) قاموس القرآن.

الظاهرية لها، وذلك واضح بالرجوع إلى الآيات التي تتحدث عن الخلقة، وعنوانها الإنسان، مثل:

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ﴾ (الحجر ـ ٢٦).

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ﴾ (النحل ـ ٤).

ب ـ إنس:

كلمة إنس بمعنى البشر خلاف الجن وجمعها أناس وأناسي، ذكرت هذه الكلمة في القرآن على الدوام في مقابل الجن:

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات ـ ٥٦).

لقد وردت كلمة الإنس في القرآن الكريم «١٨» مرة، وأناس «٥» مرات، وأنسي وأناسي مرة واحدة، وقد ذكرت كلمة الإنس سبع مرات قبل كلمة الجن، وكلمة الجن إحدى عشرة مرة قبل كلمة الإنس، وذلك من مجموع ١٨ مورد في القرآن.

ج ـ ناس:

الناس بمعنى جماعة الناس، الإنسان، عموم الناس، قالوا إن الناس والإنس والبشر واحد من حيث المعنى، وأصل الناس أناس من أنس سقطت منها الهمزة وأدغمت اللام في النون، ولقد

وردت لفظة الناس» ٢٤١ «مرة في القرآن، وإذا قوبلت كلمة الناس مع كلمة الجن في الآية:

﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ (الناس ـ ٦).

تبيّن أن كلمة الناس لا تطلق على الجن.

د ـ بشر:

هذه الكلمة ذكرت في القرآن «٣٥»، مرة وكلمة بشر مرة واحدة، وهي بمعنى الإنسان، لكن الآدمي إذا ما نسب إلى فضائله وكمالاته واستعداداته فهو إنسان، وإذا نسب إلى جسده وظاهر بدنه وشكله الظاهر فهو بشر، فالبشر ظاهر جلد البدن أما آدم فباطنه، من هنا قالوا إن البشر يظهر جلده من خلال شعر بدنه، وذلك بخلاف الحيوان حيث يستر الصوف والشعر والوبر جلد بدنه، والقرآن يورد لفظ البشر في كل موضع يريد أن يشير به إلى الإنسان من حيث جسده وشكله الظاهر، مثل:

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا﴾ (الفرقان ـ ٥٤).

﴿إِنِّي خَٰلِقُۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ (الجن ـ ٧١).

لذلك يقول فيما يتعلق بالنبي الأكرم ﷺ:

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ (فصلت ـ ٦).

وهذا يعني أن الناس من حيث البشرية سواء، لكن الفرق بينهم إنما يكون في الكمالات والأعمال، جاء في الآية الكريمة:

﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ (يوسف ـ ٣١).

ومراد نسوة قصر مصر في هذا المقام أن الشكل والظاهر لا يمكن أن يكون شكل بشر بل هو ملك.

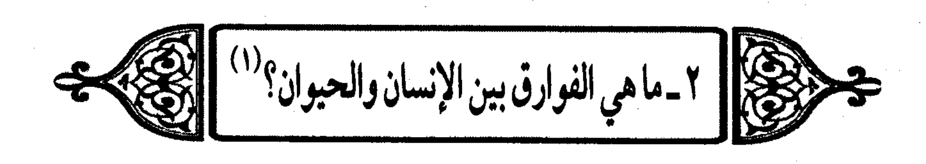
هـ ـ بني آدم:

إن كلمة آدم ليست عربية، وقد ذكرت في القرآن «٢٥» مرة، «١٧» مرة لفظة آدم، و«٨» مرات لفظة بني آدم، والأكثرية الساحقة من أهل اللغة والتفسير قالوا إن كلمة آدم اسم علم، وهي اسم شخص بعينه، والمقصود من بني آدم أبناء «آدم أبو البشر».

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ (الإسراء ـ ٧٠).

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ (الأعراف ـ ٣١).

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ (الأعراف ـ ٢٧).



٢ ـ ما هي الفوارق بين الإنسان والحيوان؟[1]

أ ـ جهة الإدراك واكتشاف ذاته والعالم

إن الحواس هي السبيل والوسيلة لإدراك الحيوان، والإنسان من هذه الناحية يشترك مع الحيوان، ولعل الحيوان أحياناً ـ وفي بعض الموارد والأمور ـ أقوى من الإنسان. إن الإدراك والمعرفة التي تمنحها الحواس للإنسان والحيوان هي معرفة سطحية وظاهرية، وليست معرفة بذات الأشياء وماهياتها وروابطها المنطقية.

لكن الإنسان يمتلك قوى أخرى للإدراك، واكتشاف الذات والعالم، لا يملكها الحيوان، وهي ما يرمز إليها بالتعقل الذي به يتم اكتشاف ومعرفة القوانين الكلية للعالم والطبيعة، ومن ثم استخدام هذه الطبيعة وتسخيرها في خدمته.

---

(١) انسان درقرآن (الإنسان في القرآن).

ب ـ جهة الأمور الجاذبة المحيطة بالإنسان:

الإنسان مخلوق كسائر المخلوقات ذوات الأرواح، يقع تحت تأثير الأمور المادية والطبيعية الجاذبة، كميله إلى الطعام والنوم والجنس والاستراحة وغيرها من الأمور، التي تشده إلى المادة والطبيعة، ولكن ما يجذب الإنسان لا ينحصر بهذه الأمور المادية فقط، بل يتعداه إلى غير المادة ويشده نحو مسائل أخرى (الجاذبات المعنوية).

الجاذبات المعنوية هي:

ب١ ـ العلم:

إن الإنسان لا يريد العلم والمعرفة من أجل التحكم بالطبيعة وطلب منفعة الحياة فقط، بل في الإنسان غريزة طلب الحقيقة والبحث والتحقيق، إن نفس العلم والإدراك مطلوب للإنسان، وممتع بذاته، والإنسان بطبعه يفر من الجهل، ويتقدم لطلب العلم.

ب٢: مكارم الأخلاق، والأخلاق الحميدة:

يقوم الإنسان ببعض الأعمال ليس لجلب المنفعة ولا لدفع الضرر، بل تكون تحت تأثير سلسلة من الأحاسيس والعواطف

التي تسمى بالأحاسيس الأخلاقية، مثلاً: اعتبار أن شكر المحسن واجب، إذن إن معيار الكثير من أعمال الإنسان يكون لجهة قيمها الأخلاقية، وهذه الأمور تنحصر بالإنسان وتختص به.

ب٣: الجمال:

من الأبعاد المعنوية الأخرى للإنسان علاقته بالجمال وحبه له في جميع شؤون حياته، فالإنسان مثلاً بمقدار ما يهتم بلباسه من جهة دفع الحر والبرد فإنه يهتم به في جهة جمال اللون والخياطة، ويعطي لذلك أهمية كبرى، في حين أن الجمال ليس مطلوباً عند الحيوان، بل المطلوب هو المعلف.

ب٤ : التقديس والعبادة:

إن حسّ التقديس والعبادة والتضرع من أقدم تجليات الروح عند الإنسان، وأكثرها خلوداً وثباتاً، وأعمق أبعاد وجوده تأصلاً، هذا الحس كان وما زال يرافق حياة البشر، إن الأنبياء لم يجلبوا العبادة للبشر، بل جاؤوا يعلمونهم نوع العبادة وكيفيتها، لأن البشر منذ بداية وجودهم موحدون يعبدون واحداً أحداً:

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات ـ ٥٦).

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ (النور ـ ٥٥).

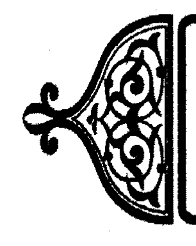
﴿وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِى ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِى لَا يُشْرِكُونَ بِى شَيْـًٔا﴾ (النور ـ ٥٥).

ج ـ كيفية الوقوع تحت تأثير الجاذبات واختيارها:

الإنسان حيوان متحرك بالإرادة، أما الحيوان فجزء من قواه خاضع لإرادته وتابع لأوامرها، فإذا أراد عملت تلك القوة وإذا لم يرد لم تعمل، لكن الإنسان ليس كذلك، الإنسان قادر وصاحب إرادة وقدرة بإمكانه الوقوف في وجه رغباته وميوله الباطنية، ويستطيع عدم إجراء أوامرها، يعني يتحرك بحكم الإرادة التي تعمل تحت أوامر العقل، وهذا يعني أن العقل يشخص والإرادة تعمل، فالإنسان يمتلك نوعين من القدرة أما الحيوان فلا:

١ ـ الرغبات والجاذبات المعنوية.

٢ ـ القدرة على المقاومة والوقوف في مقابل الرغبات والميول من جهة امتلاك العقل والإرادة، هذه القدرة هي التي تجعل الإنسان لائقاً بالتكليف..



٣ ـ ماهي المقامات التي يمكن للإنسان أن يمتلكها؟[١]



ـ مقام أعلى من الحيوان والملائكة.

ـ مقام حيواني.

ـ مقام أدنى من الحيوان.

لذلك أعمال الإنسان تندرج في ثلاثة أقسام:

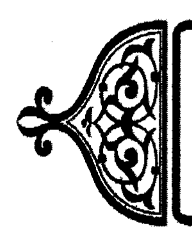
١ ـ ما هو أخلاقي يعني فوق الحيوان.

٢ ـ ما هو لا أخلاقي ولا ضد الأخلاق (كخصلة الحمام والغنم) لا يفكر إلا بنفسه.

٣ ـ ما هو ضد الأخلاق يعني أسفل من الحيوان.

---

(١) انسان كامل (الإنسان الكامل).



٤ ـ المراحل الوجودية لشخصية الإنسان؟[١]



للإنسان ثلاث مراحل وجودية:

١ ـ المرحلة الجسدية، حيث ينجز الإنسان عمله بواسطة عضلات الجسد.

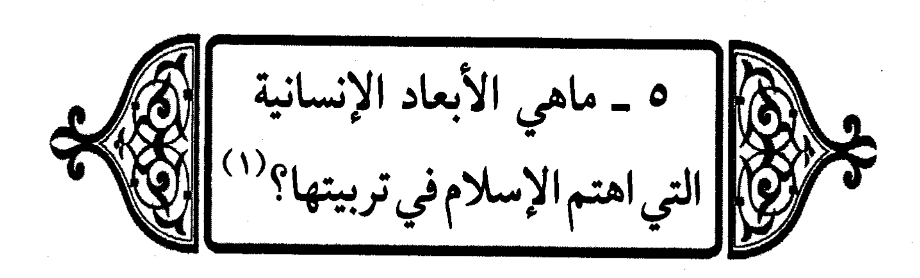
٢ ـ المرحلة النفسانية، يعني مرحلة الرغبات والميول والجذب.

٣ ـ مرحلة العقل، يعني مرحلة التفكير والقضاء، أي الحكم والفعل.

فالإنسان أي سبيل يسلك لا بد له من هذه الأمور الثلاثة، يملك العمل، يملك الرغبات والميول والملكات الروحية والأخلاقية، ويملك الفكر والقضاء.

---

(١) تفسير سوره هاي الليل، الضحى والانشراح (تفسير سور الليل، الضحي، الإنشراح).



٥ ـ ماهي الأبعاد الإنسانية التي اهتم الإسلام في تربيتها؟[١]

إن الدين الحنيف قد اهتم بجميع أبعاد الإنسان الجسدية والروحية، المادية والمعنوية، الفكرية والعاطفية، الفردية والاجتماعية ولم يهمل أياً منها، يعني:

١ ـ تربية الجسد، لقد عدّ الإسلام الاهتمام بالصحة الجسدية وحفظ السلامة من الواجبات، واعتبر أن كل عمل يؤدي إلى مضرة البدن حرام، كالصوم إذا أضر بالبدن.

٢ ـ تربية الروح، إن تربية العقل واكتساب استقلالية الفكر ومواجهة كل ما هو ضد استقلال العقل، كالتقليد الأعمى، وسلوك الأكثرية، واتباعهم كذلك، تربية الإرادة والحرية

---

(١) انسان در قرآن (الإنسان في القرآن).

المعنوية، واكتساب تملّك النفس والسيطرة عليها، كل ذلك من أسس ومباني الكثير من العبادات الإسلامية.

٦ ـ كم طبيعة للإنسان؟[1] و[2]

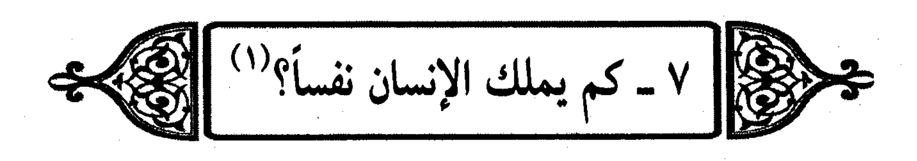
للإنسان طبيعتان:

١ ـ ابتداءً إن خلقة الإنسان فيها طبائع متضادة، ونسبة الإنسان إلى هذه الطبائع متساوية، من هنا عليه أن يختار سبيله من بين هذه الطبائع المختلفة، وهذا يعني أن لا طبيعة معينة تتحكم به، يعني الإنسان فاقد لطبيعة الإجبار وليس فاقداً للطبيعة بشكل مطلق.

٢ ـ الطبيعة الثانوية (الملكة)، التي يطلق عليها في علم النفس بالعادة، بينما يعبر عنها في الفقه والأخلاق بالفكر. وهذا يعني أن الإنسان إذا اختار سبيلاً وعمل به، فإن حالة ما وملكة ما توجد تدريجياً في روحه، يعني تظهر فيه طبيعة ثانية بحيث يصبح إنجاز هذا العمل بالنسبة إليه سهلاً، وهذا في الواقع، يعني أن في المرحلة الثانية لا يحتاج إنجاز عمل معين إلى استعداد مسبق.

---

(١) تفسير سوره هاي الليل، الضحى والانشراح (تفسير سور الليل، الضحي، الإنشراح).
(٢) شناخت، مجلس هفتم (المعرفة، المجلس السابع).



٧ ـ كم يملك الإنسان نفساً؟[١]

للإنسان نفسان:

١ ـ النفس الواعية المدركة لذاتها.

٢ ـ النفس اللاواعية الغير مدركة لذاتها.

الفرق بين النفس الواعية والنفس اللاواعية، أن النفس الواعية المدركة لذاتها تعني الأقسام المتعلقة بالروح والنفس، والتي بإمكاننا نحن أن ندرك وجودها في ذواتنا، ونعرف أنها موجودة، مثل: الحس، فعمل الحواس ظاهر، أو الرؤية مثلاً، أو ما نعلمه من أننا نملك قوة حافظة ونفهم أن حافظتنا ازدادت أو نقصت، كما أن سلسلة الرغبات والميول والشهوات والكراهية كلها أجزاء من النفس الواعية المدركة لذاتها، أما النفس اللاواعية الغير مدركة لذاتها، هي ذاك القسم من النفس الذي لا ندركه ولا ندرك وجوده في ذواتنا.

---

(١) شناخت (المعرفة).

والنفس اللاواعية لها خصوصيتان: الأولى أنها تتحكم بنفسنا الواعية فهي حاكم عليها، والثانية أنها تعطي الأوامر بينما تتقبلها النفس الواعية.

إن بحث النفس اللاواعية أعمق وأوسع وأشمل من ذلك بكثير، بحيث أن العلم الحديث بقي عاجزاً ولم يستطع الإحاطة به من جميع جوانبه، كما أن علم التحليل النفسي مرتبط بالنفس اللاواعية وليس بالنفس الواعية.

جاء في القرآن الكريم في سورة الأعلى:

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى . . . إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾ (الأعلى: ١ ـ ٧).

سُئل أمير المؤمنين عليه السلام عن قوله تعالى:

﴿إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾ (الأعلى ـ ٧).

ماذا يعني؟ إذ لا يوجد شيء بالنسبة للإنسان أكثر سراً واختفاء من أمر يخفيه في قلبه، فما هو ذاك السر الذي يتحدث عنه القرآن والله يعلمه وهو أكثر اختفاء.

قال الإمام الصادق عليه السلام:

«إن السر ما أخفيته في نفسك وأخفى ما خطر ببالك ثم أنسيته»[1].

جاء في دعاء كميل بن زياد عن أمير المؤمنين عليه السلام:

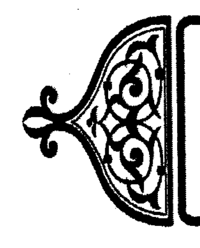
«وكل سيئة أمرت بإثباتها الكرام الكاتبين، الذين وكلتهم بحفظ ما يكون مني، وجعلتهم شهوداً عليَّ مع جوارحي، وكنت أنت الرقيب علي من ورائهم، والشاهد لما خفي عنهم».

حتى الملائكة الذين هم جنود الغيب وقد تخفى عنهم بعض الأشياء في دائرة الوجود، يعني أن في وجودي من الغيب والخفاء ما لا تعلمه الملائكة، ولا يمكنها معرفته، من هنا يدرك الإنسان أن قضية النفس الإنسانية وروح الإنسان مسألة عجيبة جداً[2].

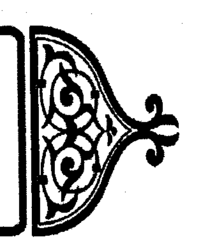
---

(١) (بحار الأنوار العلامه المجلسي ج٨٨ ص ٢٨٩).

(٢) معلومات اكثر حول «النفس اللاواعية الغير مدركة لذاتها» وخصوصياتها في كتاب شناخت، مجلس هفتم (المعرفة، المجلس السابع).



٨ ـ مراحل طبيعة النفس الإنسانية[1]



١ ـ النفس الأمّارة بالسوء.

٢ ـ النفس اللوامة.

٣ ـ النفس المطمئنة.

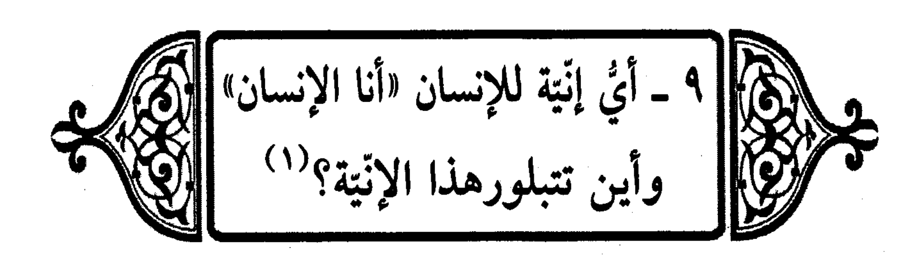
في مرحلة من المراحل تأمر النفس بالسوء والشر، وفي مرحلة أخرى تلوم ذاتها وتغضب لارتكابها الشر، وفي مقام مرحلة أخرى تكون النفس هادئة مطمئنة محترزة من الشر والسوء.

هل طبيعة النفس الإنسانية شرّ بالذات؟

لا يعدّ الإسلام في فلسفته النظرية أن طبيعة الإنسان النفسانية شريرة بالذات، أما في فلسفته العملية فهو لا يقتدي بالفلسفات أو

(١) اخلاق جنسي (الأخلاق الجنسية).

التربية التي تعتمد القهر، كالفلسفة الهندية أو الكليمية أو المانوية أو المسيحية، وذلك باعتمادها أسلوب القمع وتحطيم القوى النفسانية، أو على الأقل حبسها باللجوء إلى الأعمال الشاقة، والأحكام والدساتير العملية للإسلام شاهدة على ذلك.



٩ ـ أيُّ إنّيّة للإنسان «أنا الإنسان» وأين تتبلورهذا الإنّيّة؟[1]

إن الإنسان في العين ذاتها حيث هو موجود واحد، إلا أن له مئات بل وآلاف الأبعاد الوجودية فإن إنّيّة الإنسان عبارة عن مجموعة كبيرة من الأفكار والأماني والخوف والآمال والعشق، كل ذلك بحكم الأنهار والمجاري المتصلة ببعضها في مركز مهم، هذا المركز عبارة عن بحر عميق لا يسبر غوره، ولم يدّعِ بشر إلى الآن أنه استطاع أن يدرك أعماق هذا البحر، أو اطلع على أسرار قعره؛ فالعرفاء والفلاسفة وعلماء النفس كل منهم قد رمى بسهمه عمقه، واكتشف إلى حد بعض أسراره، ولعل العرفاء كانوا أكثر توفيقاً من غيرهم في هذا المضمار.

إن ما يسميه القرآن بالفؤاد أو القلب، هو عبارة عن واقعية هذا

---

(١) آشنايي با قرآن (المعرفة حول القرآن).

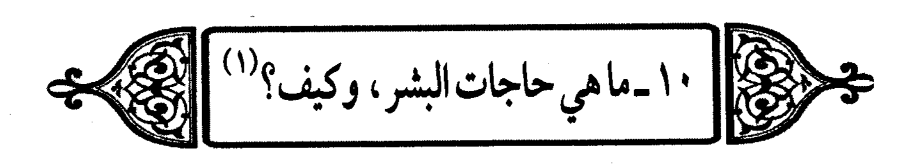
البحر، وكل ما ندعوه بالروح الطاهرة عبارة عن أنهار ومجاري متصلة بهذا البحر، حتى العقل بذاته إحدى تلك الأنهار المتصلة.

والقرآن الكريم عندما يتكلم عن الوحي لا يتطرق إلى العقل، بل يتناول الموضوع من باب القلب، «قلب الرسول» وهذا يعني أن القرآن لم يحصل للرسول الأكرم بالقوى العقلية والاستدلال العقلي، بل إن قلب الرسول قد انتهى إلى حالة لا يمكننا تصورها، في هذه الحالة حصل الاستعداد لإدراك شهود الحقائق الربانية المتعالية، وهذا المعنى جاء إلى حد ما في سورتي النجم والتكوير، حيث يقول الله تعالى:

﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ * مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ (النجم - ١٠ ـ ١١).

﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ * ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ (التكوير: ١٩ ـ ٢٠).

فالقرآن عندما يتكلم هنا عن الوحي، ويتحدث عن القلب، فإن بيانه يذهب أكثر من العقل والفكر، ويسمو فوقهما، لكنه ليس ضد العقل والفكر، ولا بخلافهما، إن رؤية القرآن في هذا المضمار أبعد من الفكر والعقل والإحساس؛ لأن العقل يبقى عاجزاً عن إدراك ذلك، وليس له سبيل إليه.



١٠ ـ ما هي حاجات البشر، وكيف؟[١]

هل صحيح أن جميع حاجات البشر في تغيُّر، وأن مع تغيُّر الحاجات تتغير القوانين والأنظمة المتعلقة بها؟ الجواب: ليس حاجات الإنسان فقط تتغير، ليس من الضروري تغير الأصول والعقائد الأساسية للحياة مع تغير الحاجات، فالحاجات البشرية نوعان:

١ ـ الحاجات الأولية: هذه الحاجات تنبع من عمق البناء الجسدي والروحي للبشر، ومن طبيعة الحياة الاجتماعية، وما دام الإنسان، وما دامت حياته حياة اجتماعية، فإن هذا النوع من الحاجات باقٍ وموجود، مثلاً:

أ ـ حاجة الطعام واللباس والمسكن والزواج.

ب ـ حاجات روحية، من قبيل العلم والجمال والإحسان والعبادة والاحترام والتربية.

(١) ختم نبوت (ختم النبوة).

ت ـ حاجات اجتماعية، مثل المعاشرة والتبادل والتعاون والعدالة والحرية والمساواة.

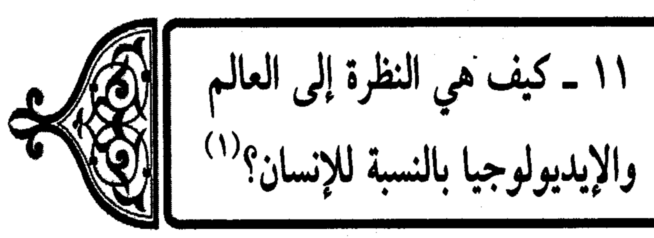
٢ ـ الحاجات الثانوية، وهي التي تنشأ من الحاجات الأولية، كالحاجة إلى أنواع الآلات ووسائل الحياة، بحيث تختلف بين زمان وزمان، وبين عصر وآخر.

* تغيُّر الحاجات وتجددها وقِدمها مرتبط بالحاجات الثانوية.

* إن الحاجات الأولية لا تصبح قديمة ولا تزول، بل تبقى دائماً حيَّة وجديدة.

* الحاجات الأولية هي المحرك للبشر باتجاه التطور والكمال، أما أكثر الحاجات الثانوية؛ فهي ناشئة من التقدم والكمال في الحياة وفي نفس الوقت محرك باتجاه التطور والتقدم والكمال الأرقى.

* القانون يحدد الطريقة العادلة، والسبيل المشرف لتأمين الحاجات، وإنّ تغيُّر وتبدُّل الوسائل التي يحتاجها الإنسان ليست بالضرورة سبباً لتغير طريقة تحصيلها، وسبل الاستفادة منها، والتعامل والمبادلة بها بشكل عادل.

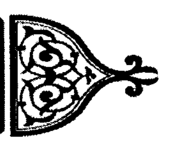
١١ ـ كيف هي النظرة إلى العالم والإيديولوجيا بالنسبة للإنسان؟[١]

الإيديولوجيا والمدارس الإيديولوجية هي وليدة النظرة إلى العالم، وكيفية رؤية العالم، إن الإيديولوجيات تستند إلى كيفية النظرة إلى العالم، والنظرة إلى العالم تعني نوع الاستنتاج والفهم والتفسير، أي نوع التحليل الذي يملكه الإنسان عن العالم، والاستنتاج والفهم الذي يكونه عن الوجود والعالم والإنسان والمجتمع والتاريخ.

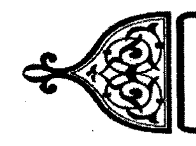
إن النظرة إلى العالم إذا اختلفت فإن الإيديولوجيا تختلف أيضاً؛ لأن الأسس والقواعد التي تستند إليها الإيديولوجيا من الناحية الفكرية هي النظرة إلى العالم وكيفية رؤيته، ولأن الإيديولوجيا تعني المدرسة والفكر الذي يحدد ما يجب وما لا

(١) شناخت (المعرفة).

يجب، أي المدرسة التي تقول أن الإيديولوجيا هي دعوة الإنسان
إلى هدف ما، وتوضيح السبيل الذي يوصل إلى ذلك الهدف.



١٢ ـ هل المعرفة ممكنة للإنسان؟[1]



القرآن لا يقول بعدم المعرفة وامتناعها، بل يؤكد على إمكانيتها؛ من هنا فإن القرآن لا يدعو إلى أمر محال:

﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ (البقرة ـ ٣١).

وهذا يعني أن الإنسان يملك إمكانية لا متناهية للمعرفة، والقرآن عندما يتحدث عن آدم، فإنه يطرح الموضوع من باب إمكانية المعرفة وإمكان تملكها. إنه يقول لنا جميعاً أنتم أبناء آدم؛ أبوكم آدم الذي وصلت معرفته إلى هذا الحد؛ أنتم أبناء آدم الذي امتلك معرفة غير متناهية؛ لذلك عليكم السير باتجاه تلك المعرفة اللامتناهية.

القرآن يتوجه إلى الإنسان ويدعوه إلى النظر والتفكرفي أمر السماء والأرض، يقول له اذهب وتعرف إلى كل ما هو موجود.

---

(١) شناخت (المعرفة).

أيـهـا الإنـسـان إعـرف نـفـسـك، إعـرف الـعـالـم، إعـرف ذاتـك وتاريخك:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ﴾ (المائدة ـ ١٠٥).

والمعنى الدقيق لذلك أن الله تعالى:

﴿وَأَشۡهَدَهُمۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ (الأعراف ـ ١٧٢).

الله تعالى دلَّ الناس وعرَّفهم على أنفسهم، قال للإنسان انظر إلى نفسك بنفسك، واعرف نفسك بنفسك، إن معرفة الإنسان نفسه بنفسه يعني أن معرفة النفس قريبة إلى هذا الحد من معرفة الله:

«من عرف نفسه فقد عرف ربه»[1].

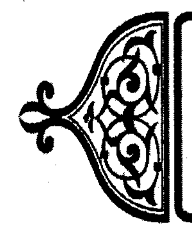
جملة معروفة ومشهورة في العالم، ولكن لم يستطع أحد أن يبيّن ذلك أجمل وأبلغ من بيان القرآن، لأن جملة:

«من عرف نفسه فقد عرف ربه».

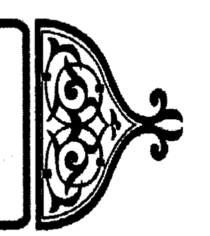
المعرفة اللازمة فيها واحدة، معرفة النفس. والأخرى معرفة الرب؛ أما في القرآن، فإن الله يقول أنه شديد القرب منك إلى حد أن معرفة النفس تكون كافية.

---

(١) (شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ٢٠، ص ٢٩٢).



١٣ ـ ما هي موانع المعرفة بالنسبة للإنسان؟[١]



إذا صفا ذهن الإنسان، وخلا من التكدّر والعلائق، فإنه تظهر للإنسان الحقائق كما هي، يقول مولوي:

إذا حلَّ الغرضُ ذهبتْ ضروبُ الفنّ والمعارف وغشىَ العين من القلب مئةُ حجاب.

إن آلة الفكر إنّما صنعت ووجدت بشكل تمكِّن الإنسان من رؤية الحقائق تبعاً للصفاء الذهني والروحي، فإذا أُخذت الروح بعاطفة خاصة منعت الإنسان من رؤية الحقائق كما هي، بل يراها مطابقة لتلك الحياة حيث الروح متعلقة بها. فالعشق والهوى من الأمور التي إذا ابتليت الروح بها منعت الإنسان من الرؤية

(١) شناخت (المعرفة).

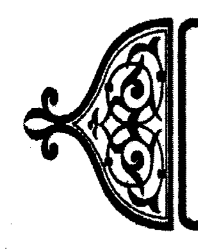
الحقيقية، والعكس صحيح؛ فإذا كره الإنسان شيئاً، أو تملّكه الحقد على شيء، فإن ذلك يكدر الروح ويمنع صفاءها؛ وبالتالي لا يمكن رؤية الأشياء على حقائقها، وكما هي. إن العاشق يرى حبيبه القبيح جميلاً، لذلك قيل إن الحب أعمى.

قال الشاعر: إذا أحبتك عيني ومالت إلى هواك فإنها لا ترى منك سوى حسن ليلى.

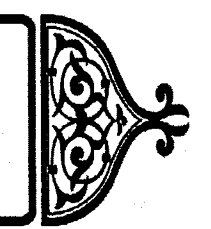
من هنا، فإن السعي الحثيث من أجل البقاء في منطقة الحياد، وعدم الانحياز إلى العواطف والأحاسيس، ومن أجل القضاء والحكم بما نزل من الحق، يعتبر من أصول المعارف القرآنية:

﴿زُيِّنَ لَهُ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ﴾ (فاطر ـ ٨).

﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا * ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ (الكهف: ١٠٢ ـ ١٠٣).



١٤ ـ كم نوع لأنشطة الإنسان وفعاليته؟[١]



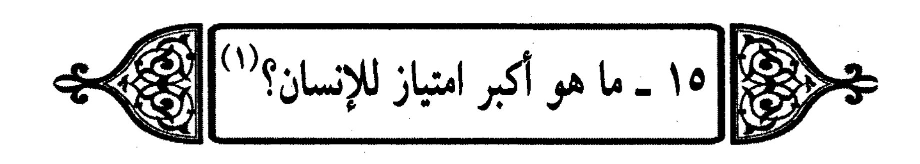
أنشطة وفعالية تلذذية: يخضع الإنسان لتأثير غريزة الطبيعة المباشرة، ويقوم بنشاط ما، وبتأثير العادة «الطبيعة الثانوية» من أجل الوصول إلى لذة أو الهروب من مضرة، من هنا فإن العمل الباعث على اللذة بالجذب، أو العمل الذي يبعث على العذاب بالدفع، أي «الأعمال الجاذبة والأعمال الدافعة» تجذب الإنسان أو تدفعه وتبعده.

أنشطة وفعالية تدبيرية: هي الأعمال التي لا تحمل في طياتها أموراً جاذبة، ولا دافعة، ولا تحرك غريزة الإنسان وطبيعته، ولا تجذبه نحوها أو تبعده عنها، بل ما يحرك الإنسان هنا حكم العقل والإرادة، فالإنسان يقدم على عمل ما بحكم العقل والإرادة، أو

(١) مشخصات اسلام (مواصفات الإسلام).

بسبب المصلحة الكامنة والمخفية فيه، ويتركه أيضاً بسبب المصلحة الكامنة في تركه، يعني القوة المحركة للإنسان هي العلة الغائية والمصلحة لا اللذة.

إن ما يحدد اللذة هي الطبيعة، وما يحدد المصلحة هو العقل، فاللذة تحرك الرغبة، والمصلحة تحرك الإرادة، لذلك فإن الإنسان يملك قوة مرتبطة بالعقل لها الدور في إجراء أحكام العقل ومقرراته، وفي أحيان كثيرة تقوم بإجراء المقررات الصادرة عن العقل، والطروحات الفكرية، وحتى بخلاف كل الميول والرغبات والجاذبات الطبيعية.



١٥ ـ ما هو أكبر امتياز للإنسان؟[١]

أكبر امتياز للإنسان هو الاختيار، وهذا يميزه عن سائر الموجودات، فالإنسان مخلوق مختار.

يقول الفلاسفة والحكماء: الإنسان حيوان اجتماعي.

يعني أن الإنسان موجود حي ذو روح، وحياته تتوقف على شركائه في الحياة؛ أي مجتمعه الحي، وهذه العبارة ليست بسيطة فهي تتعلق بآلاف القوانين والأنظمة والمعلومات.

إن تقسيم العمل والأخلاق الاجتماعية، من قبيل العدالة والإنصاف والإحسان والمشاركة في السراء والضراء، من الأمور الضرورية. ففي حين أن الحياة الحيوانية مثل «حياة النمل» الذي يعيش بشكل جماعي، هي نوع من الجبر والضرورة بحكم الغريزة، والحكم المقرر، فإن فعالية الإنسان ونشاطه ليس كذلك، بل إن الإنسان حر مختار.

---

(١) پندها واندرزها (النصايح و المواعظ).

من هذا المنطلق، فإن الفرق الكبير بين الإنسان والحيوان هو وجود سبيلين أمام الإنسان، ويجب عليه اختيار أحد هذين السبيلين، فهو دائماً يقف على مفترق طرق، وعليه الاختيار. والقرآن يحدد ذلك بقوله:

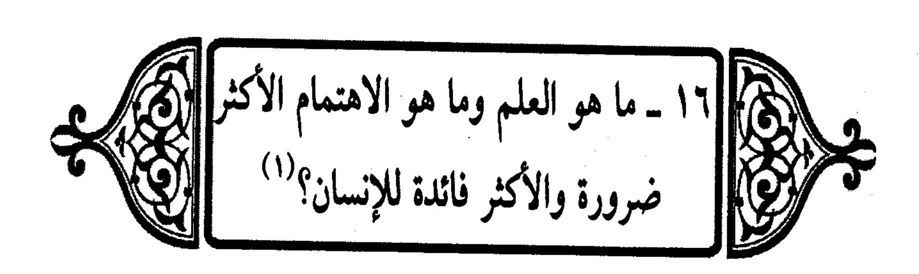
﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ * وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ * وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ (البلد: ٨ ـ ١٠).

والمقصود من النجدين طريق الحق والباطل. هذا الأمر يشبه طريقين في جبل، أحدهما يؤدي بالإنسان إلى القمة عبر مسالك وعرة، والآخر ينتهي بصاحبه إلى الهاوية.

لذلك فإن حرية الإنسان ـ ذلك الامتياز الكبير الذي يميز الإنسان عن غيره ـ والمباني القانونية والأخلاقية والأنظمة والمقررات، تعني أن النبوة والرسالة والكتب السماوية في حقيقتها إنما جاءت بهدف إيجاد التعادل والتوازن في المجتمع، وفي ذلك الموجود الحر، وإقامة العدل والإنصاف والمساواة بين بني البشر، فحرية الإنسان هي تلك التي أوجدت آلاف القوانين والأنظمة والتعليمات والفلسفات والأخلاق؛ فإذا كان الإنسان ذلك الموجود الذي عاش جماعات جماعات بحكم الطبيعة، وإذا

كانت كل جماعة تقوم بوظائفها تعمل على هواها بحكم الغريزة، ومن غير كيف ولماذا فإن ذلك يعني أن الإنسان لا يحتاج إلى القوانين والأنظمة، وليس للجزاء والعقاب بعد ذلك من معنى.

بالإضافة إلى أن هذه الحرية هي مبنى الفضيلة، وأساس تقدم الإنسان على الملائكة، لأن الملائكة إنما وجدت لا تعرف سوى سبيل واحدة، ولا يمكنها السير بغير تلك السبيل، ذلك طريق التقديس والعبادة والطهارة، غير أن الإنسان يملك استعداد الترقي والالتحاق بالملأ الأعلى، كما يملك استعداد الانحدار نحو الوضاعة والدناءة، فإذا تم انتخاب طريق الكمال والترقي بقوة التصميم والإرادة من جهة، ومواجهة عبادة الهوى بالمجاهدة والصبر من جهة أخرى؛ فإن لذلك قيمة أكبر.



١٦ ـ ما هو العلم وما هو الاهتمام الأكثر ضرورة والأكثر فائدة للإنسان؟[١]

إن الأكثر ضرورة وفائدة للإنسان، هو الاهتمام بالعلم والتوجه إلى الفقر العلمي، أي الاهتمام الذي يوجد في البشر عطشاً شديداً لا يقر له قرار في طلب العلم، وتكميل العقل والمعرفة. من هنا فإن نفس الاهتمام والحرص الذي يوجد عطشاً شديداً يخمد ولا ينطفىء في البحث عن المال وجمع الثروة، يجب أن يكون عينه في طلب العلم والبحث عن المعرفة.

إن العلم والفكر هو غذاء الروح، والإنسان يجب أن يفكر في غذائه الروحي؛ بالمقدار ذاته الذي يفكر فيه بالنسبة إلى معاشه، كذلك عليه المواظبة والمراقبة؛ فيما يتعلق بغذاء روحه بنفس مراقبته واهتمامه بالغذاء الجسدي.

---

(١) پندها واندرزها (النصايح و المواعظ).

يقول الإمام علي عليه السلام:

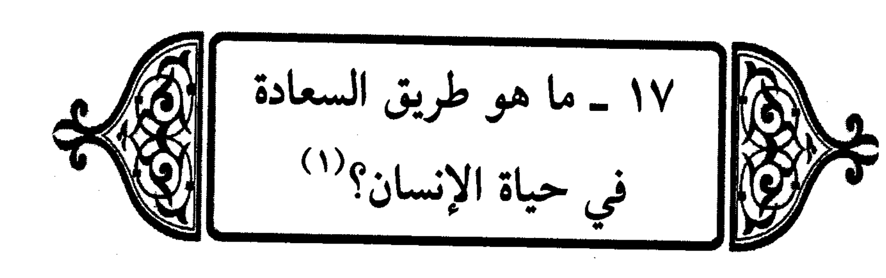
«ما لي أرى الناس إذا قرَب إليهم الطعام ليلاً تكلفوا إنارة المصابيح ليبصرو ما يدخلون بطونهم! ولا يهتمون بغذاء النفس بأن ينيروا مصابيح ألبابهم بالعلم! ليسلموا من لواحق الجهالة، والذنوب في اعتقاداتهم وأعمالهم»[1].

ويقول الإمام الحسن المجتبى عليه السلام:

«عجبت لمن يفكر في مأكوله كيف لا يفكر في معقوله، فيجنب بطنه ما يؤذيه ولا يجنب صدره ما يؤذيه»[2]. (و يودع صدره ما يزكيه أو يرديه)[3].

---

(١) (شرح نهج البلاغة ابن أبي الحدي، ج٢٠ ص ٢٦١، ٥٣).
(٢) (بحار الأنوار، ج ١، باب الغلوم التي أمر الناس بتحصيلها، ح ٤١).
(٣) في بعض المراجع (كافي، ج٦ ص٢٨٢، ح٩).



١٧ ـ ما هو طريق السعادة في حياة الإنسان؟[١]

جاء في القرآن الكريم:

﴿وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَا﴾ (البقرة ـ ١٨٩).

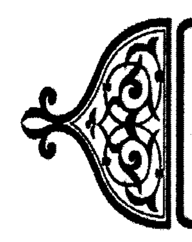
إذا كان هذا القانون يبدو لأول وهلة بسيطا؛ فإنه يجب الانتباه إلى أنه أصل وقاعدة كلية. على الإنسان أن يتنبه بأنه ليس فقط للمنزل أو الإدارة باب للدخول. إن الحياة والسعادة مثل المحل بحيث يتوجب على الإنسان بداية أن يتعرف إلى أبوابها بالبصيرة، ثانياً أن يعوِّد نفسه دائماً على الدخول إلى الحياة من بابها الحقيقي، ويسلك طريقها المستقيم، ويبحث عن السعادة ويتلمسها.

---

(١) پندها واندرزها (النصايح و المواعظ).

يقول القرآن الكريم:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (النمل - ٩٧).



١٨ ـ ما هي مسؤوليات الإنسان وما نوعها؟[١]



مسؤولياتنا الدينية تقسم إلى قسمين:

١ ـ المسؤوليات المفروضة من قبل الشارع (الإسلام)، والتي حدّد الإسلام بشكل خاص جميع خصوصيات أعمالها وأجزائها وشروطها، طبعاً هذه المسؤوليات من الأعمال التي تكون نتائجها فرضية، ولسنا نحن مسؤولون عن نتائجها، وهي التي تسمى تعبديات: كالصلاة والصوم. فنحن موظفون بالقيام الصحيح والكامل لمقدماتها، ولا نكون بأي حال مسؤولين عن النتائج. فإذا أدينا مقدماتها بالشكل الصحيح كما فُرضت، وأدينا الأوامر المعينة من قبل الشارع، فإن النتيجة سوف تكون تابعة للمقدمات، ومرتبطة بها بشكل مباشر؛

(١) پندها واندرزها (النصايح و المواعظ).

﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ﴾ (العنكبوت ـ ٤٥).

٢ ـ المسؤوليات التي نحدد نتائجها بأيدينا، يعني أن نتائجها تكون بعهدة الإنسان نفسه ومرتبطة به؛ بحيث يقول: أنا أريد النتيجة الفلانية. أما تلك النتيجة فإنها تختلف باختلاف الوسائل والمقدمات والشرائط، وأي قالب وفي أي مورد وأي زمان، في هكذا أمر يجب التفكير والتحسب لهذا العمل وتهيئة الظروف والوسائل:

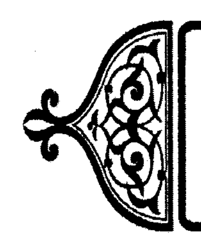
﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٍ﴾ (الأنفال ـ ٦٠).

أضف إلى ذلك، أن شيئاً في مكان ما يكون وسيلة للهداية، لكن نفس هذا الشيء في مكان آخر يكون وسيلة للضلال، إن منطق ما يجعل من امرأة عجوز إنساناً مؤمناً، نفس هذا المنطق قد يضل إنساناً متعلماً، وأن كتابا في زمان يناسب ذوق ذلك الزمان، ومستوى عصره الفكري قد يكون وسيلة للهداية، لكن نفس ذلك الكتاب قد يكون سبباً للضلالة في زمن وعصر آخر، طبعاً باستثناء الكتب السماوية.

لكن من المفيد التأكيد على أن وسائل الهداية في أي عصر تخص ذلك العصر، والشاهد على هذا المطلب الآية التالية:

﴿ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾ (النحل ـ ١٢٥).

إن المقام في هذه الآية مقام الدعوة والتربية، دعوة البشر وتربيتهم؛ لذلك ذكرت كلمة رب يعني طريق تربية البشر، بحيث تكون الدعوة بالحكمة يعني الكلام المتقن، والدليل الواضح، والعلم الصريح، والعقل الخاص، يقول المفسرون إن الدعوة بوسيلة الحكمة والبرهان والدليل العقلي والعلمي إنما تكون لمجموعة خاصة ومحددة ممن يملكون الاستعداد لذلك، أما الموعظة الحسنة يعني الموعظة الجيدة والنصيحة المقبولة، فهي لبعض الناس ممن لا يملكون استعداد البيان العقلي والعملي، بحيث إذا ما طرحت عليهم المسائل العلمية فإنهم يضلون، لذلك فإن سبيل هدايتهم إنما يكون عن طريق الموعظة والنصيحة، وذلك بالتمثيل والقصة والحكاية، أو أي شيء يمكنه أن يهديهم ويسكن قلوبهم: ﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ﴾، فإذا كنت في مقابل بعض الأشخاص ممن لا يريدون كشف الحقائق، ولا المعرفة، إنما هدفهم المجادلة والكلام والمماحكة فجادلهم؛ أما على نحو أحسن، جادلهم ولكن لا تخرج بالمجادلة عن طريق الحق والحقيقة: لا تظلم ولا تكذب ولا تصارع الحق.



١٩ ـ ما هي القيم الإنسانية وما يخالفها؟[١]



للإنسان في النظرة الإسلامية إلى العالم قصة عجيبة، فالقرآن يمدح الإنسان بأسمى مدح ويذمّه بأكبرمذمة، يمدحه ويجعله أرقى من السماء والأرض والملائكة، بحيث يمكنه أن يسخِّر العالم لمصلحته، ويجعل الملائكة في خدمته، ويذمّه بحيث يعده أدنى من الشيطان وأحقر من الحيوان، ويجعله أسفل السافلين.

أ ـ القيم الإنسانية عبارة عن:

١ ـ الإنسان خليفة الله في الأرض:

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة ـ ٣٠).

(١) انسان كامل (الإنسان الكامل).

٢ ـ قابلية العلمية:

إن قابلية الإنسان العلمية هي أكبر قابلية يمكن لأي مخلوق أن يمتلكها، والله تعالى قد علم آدم جميع الأسماء وأطلعه على كل الحقائق:

﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا. . .﴾ (البقرة: ٣١ ـ ٣٣).

٣ ـ فطرة الإنسان على معرفة الله فالإنسان يدرك في أعماق وجدانه الذات الإلهية، وكل الأمراض والشكوك والتردد ما هي إلا انحرافات عن طبيعة الإنسان الأصلية.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًاۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَاۚ﴾ (الروم ـ ٣٠).

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ (الأعراف ـ ١٧٢).

٤ ـ ان الخليقة الإنسانية مركبة من الطبيعة وما وراء الطبيعة، من المادة والمعنى، من الجسم والروح؛ ﴿ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلْقَ ٱلْإِنسَٰنِ مِن طِينٍ * ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن مَّآءٍ مَّهِينٍ * ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ﴾ (السجدة: ٧ ـ ٩).

٥ ـ إن خلق الإنسان ليس صدفة ولا عبثاً، بل بحساب

وتقدير. فالإنسان موجود اجتباه الله؛ ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾ (طه ـ ١٢٢).

٦ ـ الإنسان يملك شخصية مستقلة وحرة ومستودع أمانة الله، وعنده مسؤولية ورسالة، ويمكنه أن يكون سعيداً أو شقياً باختياره؛

﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾ (الأحزاب ـ ٧٢).

﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (الإنسان ـ ٣).

٧ ـ الإنسان يتمتع بالكرامة والشرف، فهو مخلوق مكرم ذاتياً، وعندما يدرك ذاته الواقعية وشخصيته الحقيقية يدرك مدى الكرامة التي يتمتع بها، ويعلم أنه أرقى من كل الوضاعة والانحطاط، وأسمى من أن يتبع الشهوات أو يكون أسيرها:

﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء ـ ٧٠).

٨ ـ الإنسان يتمتع بالوجدان الأخلاقي، وهو يدرك الحسن والقبح بحكم الإلهام الفطري؛

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾ (الشمس: ٧ ـ ٨).

٩ ـ الإنسان لا يطمئن ولا يهدأ إلا بذكر الله، وهو دائماً اللانهائية الإلهية:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَـٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَـٰقِيهِ﴾ (الانشقاق ـ ٦)

﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ (الرعد ـ ٢٨).

١٠ ـ الأرض إنما خُلقتْ لأجل الإنسان؛

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ (البقرة ـ ٢٩)

﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ (الجاثية ـ ١٣).

﴿أَلَمْ تَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ (لقمان ـ ٢٠).

١١ ـ خُلِق الإنسان لأجل عبادته إذن تكليف الإنسان هو طاعة أوامر الله.

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات ـ ٥٦).

١٢ ـ لا يجد الإنسان ذاته إلا بالعبادة، فإذا نسي الله أنساه نفسه، ولم يدر من هو ولأجل ماذا وجد، وماذا يجب أن يفعل وأين يذهب؟

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ (الحشر ـ ١٩).

١٣ ـ بالذهاب من الدنيا يرفع غطاء حجاب البدن، وتنجلي أمامه الحقائق.

﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ (ق ـ ٢٢).

١٤ ـ الإنسان لا يعمل فقط لأجل المسائل المادية، وليست المادة فقط تحركه، إنه يملك أهدافاً وشعارات سامية، وليس من شيء مطلوب سوى رِضى الخالق؛

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ * ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ (الفجر: ٢٧ ـ ٢٨).

﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ (التوبة ـ ٧٢).

ب ـ ما يخالف القيم الإنسانية عبارة عن:

﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (الأحزاب ـ ٧٢).

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ﴾ (الحج ـ ٦٦).

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ * أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ﴾ (العلق: ٦ ـ ٧).

﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ عَجُولًا﴾ (الإسراء ـ ١١).

﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ قَتُورًا﴾ (الإسراء ـ ١٠٠).

﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ (الكهف ـ ٥٤).

﴿إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ (المعارج: ٢٠ ـ ٢١).

الإنسان موجود بفطرة واحدة، وطبيعة واحدة لا بطبيعتين، والمدح والذم ليسا علامة طبيعية، بل إن نظرة القرآن هي أن الإنسان يملك الكمالات بالقوة، وعليه أن يوجدها بالفعل، فالإنسان يصنع ذاته بذاته، يمكن القول إن القيم الإنسانية تتلخص تحت عنوان واحد، وهو ما جاء في مصطلح العرفاء والعلماء، وحتى العلماء الجدد وفي المتون والكتب الإسلامية، بحيث يمكن القول أن معيار الإنسانية الأصلي ذلك الشيء الذي يعبَّر عنه «بالألم»، إن الفرق بين الإنسان والحيوان هو أن الإنسان يتألم، الإنسان صاحب ألم، يجب على الإنسان أن يجد الألم ويزيله، والألم بالنسبة للإنسان نعمة، فهو يجلب اليقظة والمعرفة، مثله كمثل علامات السرعة ودرجة حرارة الماء، لو لم يكن في جسم الإنسان ورأسه ألم لَما أدرك وفهم، ولَما بحث عن العلاج، إذن الألم نعمة، الألم إحساس وإدراك ويقظة، وكلما كان الإنسان أكثر تألماً في العالم كان أكثر إدراكاً، والإنسان يكون مدركاً ويقظاً أكثر من الآخرين بنسبة ما يحمل بين جنباته من ألم، إن

انعدام الألـم يعني انعدام الإحساس والشعور والإدراك. يقول العرفاء إن الإنسان إنما فضّل على الملائكة بدليل أن الملاك من غير ألم، أما الإنسان فهو يملك ألم البحث عن الله.

الإنسان هو الحقيقة التي جاءت من النعمة الإلهية جاء من دنيا أخرى، فهو لا يملك تجانساً كاملاً مع الأشياء الموجودة في الطبيعة، ويشعر بنوع من الغربة مع موجودات العالم هذه، فكل شيء متغير وفان وغير قابل لنسج العلاقة والمحبة، أما الإنسان فيتنازعه حب الخلود، وتدغدغه مشاعر البقاء، ذلك هو الألـم الذي يشد الإنسان إلى عبادة الله، وإلى التضرع والتقرب والرجوع إلى أصله. واحدة من أرقى تشبيهات مولوي مثال الببغاء، الذي أبعد عن موطنه الأصلي «الهند»، وحبس في قفص، فهو لا يشعر بالراحة أبداً، ودائماً يفكر في تكسير القفص والعودة إلى موطنه الأصلي، كذلك حزن الإنسان وتضرعه من أجل العودة إلى أصله والفرار من غربته.

يقول الشاعر (مولانا) ما ترجمته بالعربية:

ألا فاسمع حكاية الناي يشكو الوحدة والفراق

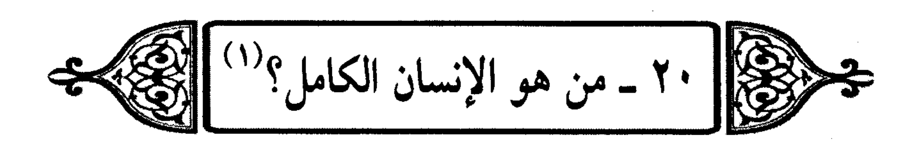
مذ قطعوني من حقل القصب وحُزْنُ الناس في لحني

ما دام الإنسان لم يصل إلى ذات الحق فهو في اضطراب، ولا يقر له قرار، جاء في القرآن:

﴿ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ (الرعد ـ ٢٨).

فالإنسان عندما يتألم ويخالطه ذاك الشعور بالحزن والأسى، عندما يتألم الآخرون أو يشعرون بالحزن أو الجوع أو أي مصيبة تصيبهم. إن ذلك بالنسبة إليه مؤلم وموجع، ويحرك فيه الشعور والإحساس مع الآخرين فيما يتألمون، ويعتبر نفسه مسؤولاً تجاههم وهذا بحد ذاته ذو قيمة كبيرة، الإنسان المصاب يشعر مع الآخرين في مصابهم، بينما كيف يتألم مع الآخرين من لا يعرف الألم؟

بعض المدارس تعتبر أن ألم الإنسان إنما يكون من أجل الخلق، أي للإنسان وليس لله، فإذا لم يسافر الإنسان نحو الله فإن ألمه لن يصل إلى مكان.



٢٠ ـ من هو الإنسان الكامل؟[١]

تتلخص نظريات أصحاب المدارس المختلفة حول الإنسان الكامل في عدة آراء:

١ ـ رأي العقليين، وهم الذين ينظرون إلى العقل أكثر منه إلى الإنسان ذاته، ويعتبرون أن جوهر الإنسان هو العقل الإنساني. فالفلاسفة القدماء كانوا يملكون هذا الفكر، إذ يعدّون أن الإنسان الكامل هو الإنسان الحكيم، وكمال الإنسان في حكمة الإنسان، الحكمة تعني ذلك الشيء الذي نعتبره اليوم علماً.

٢ ـ مدرسة العشق، وهي مدرسة العرفان، إن كمال الإنسان بالنسبة لأصحاب هذه المدرسة في العشق وفي ما يوصل العشق والإنسان إليه، والمقصود هو العشق لذات الحق، فمدرسة العشق بخلاف المدرسة العقلية، التي هي مدرسة فكرية وليست مدرسة

---

(١) انسان كامل (الإنسان الكامل).

حركة، فحركتها حركة ذهنية، وجميع حركاتها تكون بعقيدتها، بينما المدرسة العشقية مدرسة حركة، لكنها حركة صعودية عامودية وليست حركة أفقية، بعبارة أخرى هي حركة طيران وتحليق نحو الله.

٣ ـ مدرسة القدرة أو القوة، هذا الرأي لا يقول بالعقل ولا العشق، بل يعتمد على القوة، فأصحاب هذه المدرسة يعتبرون أن الإنسان الكامل هو الإنسان القوي المقتدر، والكمال يعني القدرة؛ وبأي معنى لامتلاك القوة، فهم يقولون إن الحق يعني القوة، وأينما تكون القوة يكون الحق، وأينما تكون القدرة فالحق هو ذلك القدرة، والضعف يساوي اللاّحق وانعدام الحق، فالحق في نظرهم إنما منشؤه القوة، لذلك يتوجب على الإنسان أن يصب جهده لاكتساب القوة والقدرة، وامتلاك الحكم.

يقول نيتشه: الضعفاء هم من اخترع الدين لأجل الحد من قدرة الأقوياء، بينما يعتقد كارل ماركس بعكس ذلك؛ فهو يعتبر أن الأقوياء هم من اخترع الدين، من أجل أن يبقى الضعفاء أسرى لديهم.

٤ ـ حكمة الاكزيستاليم؛ الإنسان الكامل في نظرهم هو

الإنسان المتحرر من الطبقية، وهم يؤكدون في نظرتهم على الحرية والمعرفة والمسؤوليات الاجتماعية.

٥ ـ المدرسة الاستفادية أو التمتعية، هذه المدرسة قريبة من مدرسة القدرة، بحيث ترى أن جميع الكلام السابق هي مقولات فقط.

والفلسفة حول أن الإنسان الكامل هو الإنسان الحكيم والإنسان الواصل إلى الله ما هي إلا نسج من خيال الإنسان، بل تعتبر أن الإنسان الكامل هو الإنسان المتمتع المستفيد، يعني إذا أردت أن تصل إلى الكمال الإنساني فعليك أن تجهد ما استطعت سبيلاً إلى التمتع بمواهب الخلقة، وبعبارة أخرى أن تصل إلى قمة التمتع والاستفادة من الطبيعة.

٦ ـ المدرسة الإسلامية، الإسلام يقبل القلب وفي الحين ذاته لا يحقر العقل، بل يحترمه أشد الاحترام، فهو يقول بالقلب وفي الوقت ذاته يقول بالعشق، ويقبل بالسير والسلوك، فالإنسان القرآني الكامل هو الإنسان الذي يملك الكمال العقلي، لكنه يفترق قليلاً عن الإنسان الكامل في نظرة مدرسة العشق والعرفان، فالإنسان الكامل في مدرسة العشق والعرفان فقط يتبع الباطن،

فهو باطني، يعني تبرز عنده الناحية الفردية بشدة، أما الناحية الاجتماعية فهي شبه غائبة، وتكاد لا تكون ظاهرة، فهو إنسان غير اجتماعي. أما الإنسان الكامل في الإسلام بالإضافة إلى تأييده كل ما يتعلق بالقلب والعشق والسير والسلوك والعلم المعنوي وتهذيب النفس، فإنه يقول بالظاهر والمجتمع، أي ظاهري واجتماعي، فهو لا يخفي رأسه في كمه ويقول لا علاقة لي، فإذا اختلى بنفسه ليلاً ونسي الدنيا وما فيها فهو في النهار، يعيش في قلب المجتمع ويتفاعل معه، و بعبارة أخرى رهبان الليل ليوث النهار، وعلى حد قول القرآن:

﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ﴾ (توبة - ١١٢).

هذا فيما يتعلق بالجانب الباطني، أما فيما يتعلق بالجانب الاجتماعي فالآية الكريمة تكمل:

﴿ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ (التوبة - ١١٢).

وفي آية أخرى يبدأ بالجانب الاجتماعي، ثم ينتهي بالجانب الفردي الباطني؛

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ (الفتح ـ ٢٩).

من ناحية أخرى فإن علاقة الإنسان مع الطبيعة ليست كعلاقة السجين مع السجن، ولا علاقة الطائر مع القفص، ولا علاقة يوسف مع بئر كنعان، بل إن علاقته مع الطبيعة هي علاقة المزارع مع المزرعة، والأرض علاقة التاجر مع السوق، علاقة العابد مع المعبد، فإذا كانت المزرعة ليست الهدف بالنسبة للمزارع، وإذا كان المعبد ليس هدف العابد، بل هو وسيلة فقط لأجل العبادة، أو الزراعة، أي وسيلة للعمل.

قال رسول الله ﷺ:

«الدنيا مزرعة الآخرة»[1].

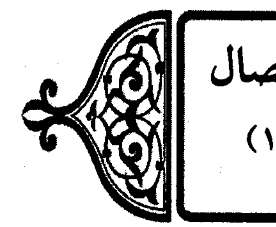
كذلك هي الدنيا بالنسبة للإنسان في الإسلام.

إذن الإنسان القرآني الكامل إلى جانب العقلانية والقلبية ـ أي القول بالعقل والقلب ـ يقول أيضاً بالطبيعة؛ بمعنى آخر، الإنسان الكامل في القرآن والإسلام عقلاني قلبي طبيعي، مسألة أخرى

---

(١) (بحار الأنوار، العلامة المجلسي ج٨٦ ص١٢٩ و ج٦٦ ص٢٩٣).

هي ترك الذات، فالعرفان يعد القلب محترماً، ولكنه يعتبر النفس حقيرة، هذا المطلب بحد ذاته صحيح ومنطق الإسلام يؤيد ذلك، لكن في نفس الوقت لدينا في الإسلام ذاتان ونفسان، والإسلام قد شخّص هاتين النفسين بشكل دقيق، بحيث لا يمكن الوقوع بينهما في الخطأ، وذلك يعني، أن النفس يمكن أن تكون في درجة عالية، ويمكن أن تكون في درجة دنيا وحقيرة، فالنفس التي تكون في الدرجة العليا هي نفس شريفة، والتي في الدرجة الدنيا هي نفس دنيئة، وهذا الأمر في لغة العرفان لم يُتنبه إليه كما يجب أن يكون.



٢١ ـ ما هي الحجة لإيصال الإنسان إلى الكمال؟[1]



هما حجتان:

١ ـ الحجة الباطنية، وهي عقل الإنسان.

٢ ـ الحجة الخارجية، وهم الرسل الذين يدعون الناس.

هاتان الحجتان تكملان بعضهما البعض، يعني إذا وجد العقل فقط ولم يكن الأنبياء، فإن البشر لن يتمكنوا عبور طريق السعادة إلى نهايته، والعكس صحيح، أي إذا وجد الأنبياء ولم يكن العقل، فإن الإنسان لن يصل إلى السعادة المطلوبة.

يقول الإمام أبو الحسن موسى بن جعفر عليه السلام:

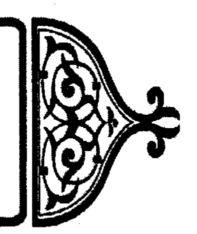
«ما بعث الله أنبياءه ورسله إلى عباده يلا ليعقلوا عن الله،

(١) انسان كامل (الإنسان الكامل).

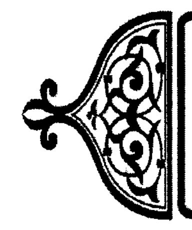
فأحسنهم استجابة أحسنهم معرفة، وأعلمهم بأمر الله أحسنهم عقلاً، وأكملهم عقلاً أرفعهم درجة في الدنيا والآخرة، يا هشام: إن لله على الناس حجتين حجة ظاهرة وحجة باطنة، فأما الظاهرة فالرسل والأنبياء والأئمة، وأما الباطنة فالعقول»[1].

---

(١) (اصول الكافي، ج١، باب العقل والجهل، ح١٢).



٢٢ ـ ما هي الأسفار في سير الإنسان الكامل؟[1]



الأسفار أربعة:

١ ـ سفر الإنسان من النفس إلى الله.

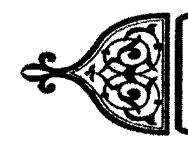
٢ ـ سفر الإنسان مع الله، في الله، يعني معرفة الله.

٣ ـ سفر الإنسان مع الله، من الله، إلى الخلق.

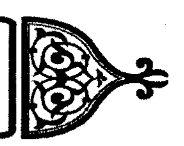
٤ ـ سفر الإنسان مع الله، من الخلق، إلى الخلق، لنجاة الخلق.

---

(١) انسان كامل (الإنسان الكامل).



٢٣ ـ ما هي أركان السعادة؟[١]



يذكر القرآن الكريم في سورة العصر أربعة أركان للسعادة البشرية، فإذا لم يمتلك الإنسان هذه الخصال الأربعة فهو من الخاسرين الخائبين، ﴿وَٱلْعَصْرِ * إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾.

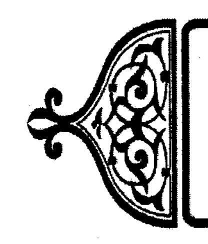
الايمان، ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾.

العمل الصالح، ﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾.

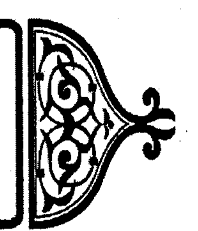
التواصي بالحق، ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ﴾.

التواصي بالصبر، ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾.

(١) پندها واندرزها (النصايح و المواعظ).



٢٤ ـ ما هي أهم أبعاد حرية الإنسان؟[١]



الحرية الاجتماعية هي واحدة من أنواع الحريات، ومن أهم مقدسات الاستعداد البشري الحاجة الماسة إلى الحرية الفكرية، يعني أن أهم قسم في الإنسان يجب أن يُربى وينمو هو التفكير؛ لكن هناك فرق بين الفكر والتفكر بخلفية عقائدية.

إن التفكير قوة موجودة في الإنسان، ومنشأها امتلاك العقل؛ لأن الإنسان موجود مفكر، وعامل ويملك القدرة على التفكير إلى الحدود التي يستطيع معها كشف الحقائق.

الله تعالى وهب الإنسان العقل والتفكر؛ كي يستفيد من ذلك في سبيل اكتشاف المجهول، في حين أن الإنسان يأتي إلى الدنيا وهو جاهل لا يعلم شيئاً؛

---

(١) شناخت (المعرفة).

﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا﴾ (النمل - ٧٨)

الإنسان مكلف بما يملك من عقل وفكر، أن يتفكر ويدرس حتى يصبح عالماً، والأحاديث حول هذه المسألة كثيرة، مثل:

«تفكُّر ساعة خير من عبادة سنة».

«تفكُّر ساعة خير من عبادة ستين سنة».

«تفكُّر ساعة خير من عبادة سبعين سنة»[1].

أضف إلى ذلك أن في الإسلام أصل فيما يتعلق بأصول الدين، بحيث يميزنا عن المذاهب الأخرى - خصوصاً المسيحية منها -، ألا وهو، أن أصول العقائد لا تقبل إلا عن طريق التفكر والاجتهاد الفكري، من هنا فإن من يفكر في هذه المسائل هو على حق، إذن يجب أن يفكر، وإذا وقع في فكره إشكال - من النظرة المنطقية - أو توصل إلى شيء في باب الله أو القيامة أو النبوة أو غير ذلك من الأصول، فهو على حق أن يقول هذا الإشكال وينقله للآخرين، فيقول: تعالوا وحلّوا

(١) (بحار الأنوار العلامة المجلسي، ج٦٦، ص٢٩٣ و ج٨٦، ص١٢٩).

هذه المشكلة لي، من هنا يجب حل هذا المشكل، وعلى الأئمة أن يجيبوا على التساؤلات، وما وجود كتب الاحتجاجات عندنا سوى بيان لتلك المسائل والمشكلات، إن حرية التعبير والبيان في الإسلام واسعة، ما دام الإنسان يملك روحاً ودافعاً قوياً للتحقيق والبحث والتفكر، فإن الإسلام يقول تعالَ، فكِّر، اسأل، وكلما فكَّرت أكثر وسألت أكثر حتماً ستصل في النهاية إلى حقيقة الأمر.

والعقيدة من الاعتقاد من مادة عقد وانعقاد، أي ما عقد عليه القلب، وما تدين به الإنسان واعتقده. وانعقاد القلب على نوعين:

١ ـ اعتقاد الإنسان، وانعقاد روح الإنسان أي العقل والتفكر الحر.

٢ ـ تعلق القلب أو اعتقاده بشيء ما، مثل تقليد الآباء والأمهات، أو التأثير من المجتمع، أو حتى العلائق الشخصية أو المنافع الفردية، هذا التعلق يبعث على الجمود والخمود والسكون، ويكبل الإنسان، وهكذا عقيدة تكبل الفكر أيضاً.

قال رسول الله ﷺ:

«حبك للشيء يعمي ويصم»[1].

فحب الشيء يعمي ويصم. إن تعلق القلب بشيء قد يعمي عين البصيرة، ويصم أذنها، ويكون مانعاً من إدراك الحقائق أو سماعها، فبعض العقائد مثل عبادة الأصنام، أو عبادة البقر، هي مخالفة للحرية الفكرية، فالحرية التي يعرفونها مثلاً في انكلترا بأنها أم الحريات، وأن انكلترا بلد يتمتع أفراده بالحرية المطلقة، فمن أراد عبادة الأصنام له ذلك، ومن أراد عبادة البقر له ذلك أيضاً، بمعنى أن الإنسان في هذا البلد يعبد ما يشاء، فهو مطلق الحرية في ذلك، وبالتالي فهذا البلد هو مركز الحريات، في الواقع هذه ليست حرية إنما هو اختيار ليكبل به نفسه.

العمل الصحيح؛ هو عمل إبراهيم عليه السلام، إنه الوحيد الذي كان يملك فكراً حراً في زمانه، ويرى أن الناس كانوا يقيدون أنفسهم بزنجير من العقائد السخيفة الفاسدة والتقليدية، بحيث لا تمتُّ إلى أي أصل فكري بصلة، بل ويسعى إلى تحرير أفكارهم. من هنا فإن الاختلاف كبير ما بين حرية الفكر وحرية العقيدة، فإذا كان الاعتقاد مبنياً على التفكر، فإن الإسلام يقبل هكذا عقيدة

---

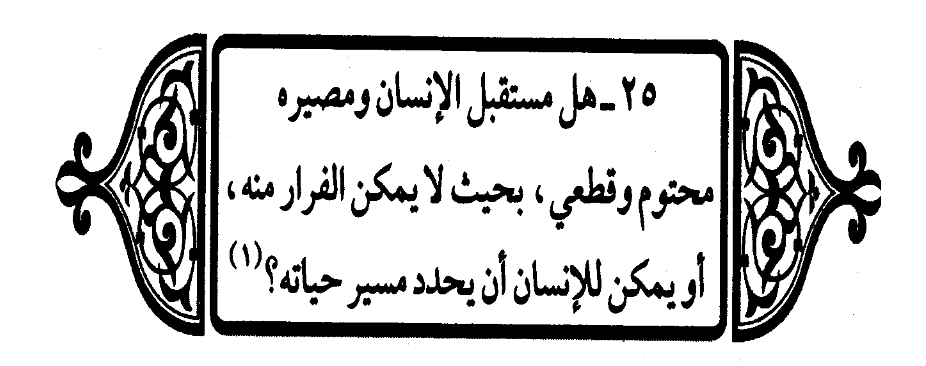
(١) (بحار الأنوار، ج٧٤، ص١٦٥).

ولا يقبل غير ذلك. حرية هذه العقيدة هي حرية الفكر، أما العقائد المبنية على الوراثة والتقليد والجهل وعدم التفكر والتسليم للواقع في مقابل العوامل المختلفة، فالإسلام لا يقبل هكذا عقائد باسم حرية العقيدة.

الدين والإيمان ليس إجبارياً:

﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ﴾ (البقرة ـ ٢٥٦).

إن الطريق واضح، الإيمان الذي يريده الإسلام ليس قابلاً للإكراه والإجبار، بل يجب أن يتركه حراً، ويترك فكره حراً، حتى يتمكن من حل المسائل، العقيدة الإسلامية هي هذه.



٢٥ـ هل مستقبل الإنسان ومصيره محتوم وقطعي، بحيث لا يمكن الفرار منه، أو يمكن للإنسان أن يحدد مسير حياته؟[١]

بعض الآيات تؤيد صراحة حتمية المصير والتدخل فيه، وإن جميع الحوادث في العالم لا تحصل إلا بمشيئة الله؛

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ (الحديد ـ ٢٢).

وفي آية أخرى:

﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَۚ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ (الأنعام ـ ٥٩).

---

(١) انسان وسرنوشت (الإنسان والمصير).

﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُۥ وَمَا نُنَزِّلُهُۥٓ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ (الحجر ـ ٢١).

﴿فَيُضِلُّ ٱللَّهُ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ (إبراهيم ـ ٤).

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ (آل عمران ـ ٢٦).

قسم آخر من الآيات يدل على أن الإنسان مختار فى أعماله، وقادر على أن يؤثر بمصيره:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد ـ ١١).

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (العنكبوت ـ ٤٠).

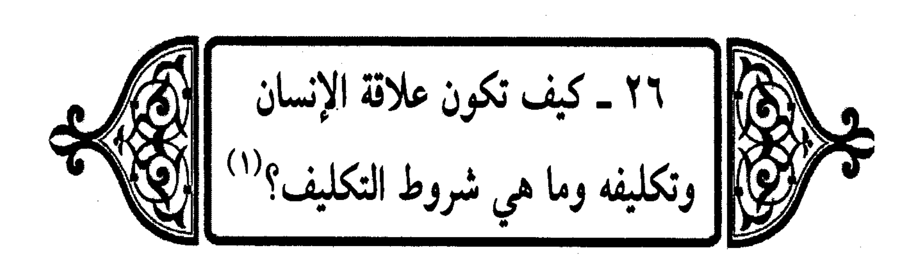
﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ (فصلت ـ ٤٦).

﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ (الكهف ـ ٢٩).

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ﴾ (الروم ـ ٤١).

يجب القول بأن الاعتقاد بالقضاء والقدر وتوحيد الأفعال لا يستلزم الجبر وسلب الحرية من البشر، كذلك الأمر فإن الاختيار وحرية البشر لا يستلزم نفي القضاء والقدر.

إذا كان المقصود من المصير والقضاء والقدر الإلهي إنكار الأسباب والمسببات، ومن جملتها القوة والإرادة واختيار البشر، فإن هذا النوع من القضاء والقدر ليس موجوداً، ولا يمكن أن يوجد، ففي الحكمة الإلهية من البراهين الدافعة والأكيدة التي لا تبقي مكاناً للشك، تثبت عدم وجود أساس لهكذا مصير وقضاء وقدر، أما إذا كان المقصود من المصير والقضاء والقدر هو ارتباط أو تعلق حتمية كل حادثة بعللها، أو حتمية تُشَّكل كل حادثة من جهة عللها، بالطبع هذه الحقيقة مهمة، يعتقد الإلهيون أن سلسلة العلل تنتهي في بعد غير البعد الزماني والمكان، يعني في الحقيقة أنه قائم بذاته، فهو لا يعتمد بذلك على من سواه، من هذا الباب فإن جميع القضايا (الحتميات) والأقدار (التعيينات) تتوقف في نقطة معينة.



٢٦ ـ كيف تكون علاقة الإنسان وتكليفه وما هي شروط التكليف؟[١]

من جملة استعدادات الإنسان قابلية التكليف، فالإنسان يستطيع أن يعيش في إطار القوانين التي وضعت من أجله، ولا يمكن لغير الإنسان ان يتبع قوانين أخرى غير القوانين الجبرية والطبيعية، هذه القوانين ليست بهذا المعنى أن جهة ذات صلاحية تضع القوانين وتفرضها على الإنسان، وأن تحمل القانون خال من أي مشقة؛ لذلك يطلق عليها التكليف.

من هنا يجب مراعاة عدة شروط، في ما يتعلق بتكليف الإنسان من قِبَل واضع القانون:

شروط التكليف:

١ ـ **البلوغ**: يعني أن الفرد ما لم يصل إلى سن البلوغ (الرجل

---

(١) انسان در قرآن (الإنسان في القرآن).

١٥ سنة، المرأة ٩ سنوات) فهو غير مكلف، إلا إذا ثبت بالدليل الشرعي بلوغه الطبيعي قبل البلوغ القانوني.

٢ ـ **العقل**: أن يكون عاقلاً.

٣ ـ **الاطلاع والمعرفة**: من وجوه التكليف أن يكون مطلعاً به عارفاً بأنه مكلف وأن يُبلَّغ بذلك، من هنا فإن عقاب من لم يعرف أنه مكلف، ولم يطلع مع عدم تقصيره في كسب الاطلاع والمعرفة قبيح، «قبح العقاب بلا بيان».

٤ ـ **القدرة**: أن يكون قادراً على أداء التكليف، بحيث يكون التكليف في حدود المستطاع، من هنا فإن تكليف ما لا يطاق ليس وارد عندنا؛

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة ـ ٢٨٦).

٥ ـ **الحرية والاختيار**: فيما يتعلق بالتكليف، ليس في الأمر إجبار ولا اضطرار، وإذا كان الإنسان في التكليف مجبراً مضطراً فإن التكليف يسقط عند ذلك، عند الإكراه يكون الإنسان في موضع التهديد، ففي الإكراه والإجبار يبحث الإنسان عن وسيلة أو حلّ لدفع وضع غير مرغوب فيه، كذلك في حالة الاضطرار يسلك الإنسان طريقاً لرفع هذا الوضع.

شروط الصحة:

في موضوعات الشرعية (العبادات والمعاملات) لا بدّ من بعض الشروط حتى تكون صحيحة، وهي الشروط التي إذا رفعت ولم تكن موجودة فإن الإنسان لا يؤدي عندها تكليفه بشكل صحيح (غير مقبول)، شروط الصحة، الشروط التي في حالة فقدها لا يكون عمل مقبول، وكما أنه ما عمل به.

شروط الصحة على قسمين:

١ ـ شروط عامة لكل الأعمال.

٢ ـ شروط خاصة لأي عمل.

كيفية العلاقة بين شروط التكليف، وشروط الصحة تكون «عموم وخصوص من وجه». يعني: بعض الشروط التكليف تكون شروط الصحة أيضاً ـ وبعض شروط التكليف ليست من شروط الصحة ـ وبعض شروط الصحة ليست من شروط التكليف.

شروط عامة للتكليف:

١ ـ البلوغ ٢ ـ العقل ٣ ـ الاطلاع والمعرفة ٤ ـ القدرة

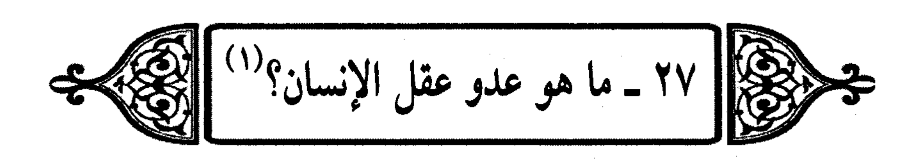
٥ ـ الحرية والاختيار (بمعنى عدم الإكراه) ٦ ـ الحرية والاختيار (بمعنى عدم الإضطرار).

شروط عامة للصحة:

١ ـ العقل ٢ ـ القدرة ٣ ـ الحرية والاختيار (عدم الإكراه ـ في المعاملات) ٤ ـ الرشد، البلوغ، الاطلاع والمعرفة[١].

---

(١) معلومات اكثر حول «شروط التكليف والشروط الصحة» في كتاب انسان در قرآن (الإنسان في القرآن).



٢٧ ـ ما هو عدو عقل الإنسان؟[١]

نلاحظ أثناء التجارب والمشاهدات اليومية كثيراً من الأمور والأشياء تقف مانعاً أمام تأثير كثير من الأمور والأشياء الأخرى، وتجعل هذا التأثير غير ذي فاعلية، بل وتفشله وتجعله غير ذي فائدة.

إن وجود الإنسان عبارة عن نسخة اجتماعية عن العالم الكبير، ففي وجود الإنسان نموذج من كل شيء موجود في العالم الكبير.

قال الإمام علي عليه السلام:

«أتزعم أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر»[٢].

وعلى هذا الأساس نرى أن الحالات والقوى المعنوية للبشر تؤثر الواحدة في الأخرى، تأثيراً معاكساً، فاكتساب القوة والنمو في البعض يُفشِّل ويمنع تأثيره أثر البعض الآخر.

---

(١) پندها واندرزها (النصايح و المواعظ).

(٢) (تفسير آية وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً، مركز المصطفى).

يقول الإمام علي عليه السلام :

«أكثر مصارع العقول تحت بُرُق المطامع»[1].

أيضاً يقول عليه السلام :

«وكم من عقل أسير تحت هوى أميرَ»[2].

أيضاً يقول عليه السلام :

«عجب المرء بنفسه أحدُ حُساد عقله»[3].

أيضاً يقول عليه السلام :

«واعلموا إن الأمل يسهي العقل وينسي الذكر»[4].

يقول الأمام الصادق عليه السلام :

«والهوى عدو العقل، ومخالف الحق، وقرين الباطل، وقوة الهوى من الشهوات، وأصل علامات الهوى من أكل الحرام،

---

(١) (شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد ج١٩، ص٤١ ـ وسائل الشيعة ج١٦ ص٢٥ ـ بحار الأنوار ج٧٠، ص١٧٠ ـ جامع أحاديث ج ١٤ص٦٤).

(٢) (شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد ج١٩، ص٣١ ـ وسائل الشيعة ج١١ ص٢٠٩ ـ بحار الأنوار ج٦٦، ص٤١٠ ـ جامع أحاديث ج ١٣ص٢٥٢).

(٣) (شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد ج١٩، ص٣٣ ـ وسائل الشيعة ج١ص١٠٥ ـ بحار الأنوار ج٦٩، ص٣١٧ و ج ٧٥ص٩).

(٤) (شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد ج٦، ص٣٥٤).

والغفلة عن الفرائض والاستهانة بالسنن، والخوض في الملاهي»[1].

يستفاد من هذه الحقائق السامية أن الهوس واتباع الهوى والإعجاب بالنفس والطمع والتعصب واللجاجة، كل ذلك عدو العقل، يعني إفشال وهدم تأثير العقل وجعل الروح الإنسانية مظلمة، وعلة هذا الأمر، أن هذا العدو يصل إلى حد يتحكم بمركز آلة التشخيص، ويضع يده على مركز رؤية الإنسان ونظرته. إن الإنسان يتصدى لأي عدو ويقاومه بالقوى العقلية والتدبر، فإذا تمكن العدو من إلحاق الخلل بمركز التدبير والرؤية، فمن البديهي أن يكون هذا العدو أخطر من أي عدو آخر.

قالوا أن الأنبياء هم خدام العقل والفطرة، كذلك بالنسبة للأطباء، فهم خدام الطبيعة ومزاج البدن، إن خدمة الأنبياء للعقول البشرية ليس من نوع خدمة المعلم لتلامذته، بحيث يُفهِم طلابه كتاباً معيناً أو فناً أو علماً ما، بل خِدْمة العقول تسلك ذلك السبيل، الذي يساعد عقول البشر، فإذا استقامت أخلاق البشر

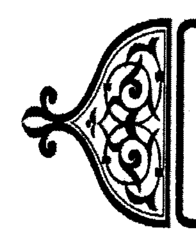
---

(١) (بحار الأنوار، ج ١، ص١٣٠).

وتصدّت لحكومة الهوى والهوس والحرص والطمع والشهوة والغضب، عندها تتجلى الحرية للعقل والفكر البشري، وتطلق يد العقل وتتحرر.

يقول القرآن:

﴿إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانًا﴾ (الأنفال ـ ٢٩).



٢٨ ـ لماذا طُرد (أُخرج) آدم من الجنة؟[1]



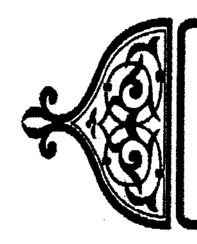
القرآن أورد قصة اقتراب آدم من تلك الشجرة وذلك بعد إيراده قصة ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ فَقَالَ أَنۢبِـُٔونِى بِأَسْمَآءِ هَٰٓؤُلَآءِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ (البقرة ـ ٣١).

وهذا يعني أن آدم عندما ذهب إلى الجنة ـ وقبل أن يقال له «اسكن فيها» ـ فتح عينيه وتعلم جميع حقائق العالم. وآدم كان في الجنة لأنه كان آدم، لم يكن حيواناً: فغمض العينين في الجنة، وبتناوله من تلك الشجرة تفتحت عيناه، كان آدم في الجنة لأنه كان عارفاً عالماً، مطلعاً، كان يعرف الحقائق، آدم أخرج من الجنة لأنه خرج من الآدمية، لأنه صار أسير الهوى مع كل هذا العلم والمعرفة، صار أسير الوسوسة والطمع مع وجود الاطلاع

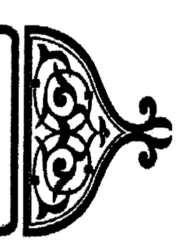
(١) شناخت (المعرفة).

ومعرفة الحقائق، لقد قيل له هنا مكان آدم، ليس مكان آدم الذي صار لا آدم وسقط من الجنة، هنا مكان آدم، ليس آدم الذي لم يعمل بلوازم المعرفة التي تعلمها.

إن المعرفة تمنح النظرة إلى العالم (رؤية العالم)، ورؤية العالم تمنح الإيديولوجية، والإيديولوجية بحاجة إلى عمل، إذن «أنا آدم» وأعلم كل شيء، والعلم هذا يريني العالم بشكل خاص لأني أرى العالم بهذا الشكل، إذن هذا يستلزم «يجب ولا يجب»، ويستلزم تحمل المسؤولية؛ أي عندي مسؤولية، وفي النهاية الإيديولوجية بحاجة إلى عمل، والعمل له وجهان: وجه إيجابي وآخر سلبي؛ أي إيجاب ونفي، والوجه الإيجابي بحاجة إلى التقوى، إلى حفظ الذات، فهل يصح أن يكون للإنسان إيديولوجيا ولا يمكنه تحمل حرمان صغير، أهذا يكون في منطق الإسلام؟ لقد أبعد الإنسان من الجنة لأنه لم يعمل بالدرجة الرابعة من معرفة النفس، يعني بعد أن اكتسب معرفة ما بعد «رؤية العالم»، معرفة ما بعد «الإيديولوجيا»، (يعني بعد رؤية العالم اكتسب المعرفة، وبعد اكتساب المعرفة اختار الإيديولوجيا)، وعندما حان وقت العمل زلَّت قدمه (١ ـ رؤية العالم، ٢ ـ المعرفة، ٣ ـ الإيديولوجيا، ٤ ـ العمل).



٢٩ ـ ما هي معارف الإنسان، وأقسامها؟[١]



الإنسان مدرك لذاته، مدرك للعالم، وهو يرغب أن يكون أكثر إدراكاً ومعرفة لذاته وللعالم، والتكامل والترقي في السعادة رهن هذين الإدراكين وهاتين المعرفتين معرفة الذات ومعرفة العالم؛ فالإنسان مدعو إلى معرفة الذات حتى يعرف الله. ويقول الإمام علي عليه السلام:

«من عرف نفسه فقد عرف ربه»[٢].

ويقول الإمام علي عليه السلام:

«أنفع المعارف معرفة النفس»[٣].

---

(١) انسان در قرآن (الإنسان في القرآن).

(٢) (شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ٢٠، ص ٢٩٢ ـ العقايد الاسلامية لمركز المصطفى، ج١، ص ٢٥٦ ـ تفسير الميزان ج ٦ ص١٦٩).

(٣) (العقايد الاسلامية لمركز المصطفى، ج١، ص ٢٥٦ ـ تفسير الميزان ج ٦ ص١٦٩).

﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (الحشر ـ ١٩).

أنواع معرفة الذات هي:

١ ـ معرفة الذات الفطرية: إن الإنسان بالذات عارف لنفسه، يعني جوهر ذات الإنسان عارفة ومدركة، إن إيجاد «إنّيّة الإنسان» وإدراكها هو عين النفس وإدراكها؛ من هنا فإن الإنسان بنحو ما مدرك بالعلم الحضوري. والجدير ذكره أن علماء النفس يهتمون بالعلم الحصولي الذهني، بينما الفلاسفة يهتمون أكثر بالعلم الحضوري غير الذهني، وذلك فيما يتعلق ببحث إدراك الذات.

٢ ـ معرفة الذات الفلسفية: الفيلسوف يجهد في معرفة حقيقة «أنا مدرك نفسي» من أكون؟ هل جوهر أم عرض؟ مجرد أم مادة؟ ما هي العلاقة مع الجسم؟ وبعبارة أخرى إن ما يطرح هنا هي الماهية وحقيقة الذات، أي ما هي وما نوعها وجنسها؟

٣ ـ معرفة الذات العالمية أو الكونية: يعني معرفة الذات فيما يتعلق بعالم الإنسان، من أين أتيت، وفيما أكون، وإلى أين ذاهب. يقول الإمام علي عليه السلام:

«رحم الله امرءاً علم من أين، وفي أين، وإلى أين»[1].

٤ ـ معرفة الذات الطبقية: وهذا النوع من المعرفة هو نوع من معرفة الذات الاجتماعية؛ يعني معرفة النفس فيما يتعلق بالطبقات الاجتماعية التي يعيش الفرد بينها. بالطبع هذه المعرفة تساوي المعرفة النفعية أو الربحية، لأنه بناء على هذه الفلسفة فإن الحاكم والملاك الأصلي للفرد وبناء الشخصية الفردية، هو النفع المادي، وهو الشيء الذي يمنح الأفراد طبقة الوجدان المشترك، والذوق المشترك، والقضاء المشترك، بعبارة أخرى يعني الحياة المادية المشتركة، والنفع المادي المشترك؛ والماركسية تؤمن بهذا النوع من المعرفة.

٥ ـ معرفة الذات القومية: يعني معرفة النفس من ناحية العلاقة بالناس والمجتمع الذي تربطه به رابطة القومية والنسل، فالإنسان عندما يعيش مع الآخرين حياة مشتركة، أو تربطه بجماعة معينة أو قوم ما حياة مشتركة، بالقانون المشترك، والآداب المشتركة، والتاريخ والنصر والهزيمة واللغة، والثقافة المشتركة، كل ذلك يجعله واحداً منهم، وجزءاً لا يتجزأ من هذه الجماعة، وبالتالي

(١) (بحث في معرفة الله تعالى عن طريقة معرفة النفس، مركز المصطفى ـ شرح رسالة الحقوق إمام زين العابدين ص٧١).

يجد نوعاً من الوحدة مع هذه الجماعة، وهذا يعني مثلما أن للفرد ذاتاً، فإن جماعة ما أو أمة ما، وبسبب اشتراكها في الثقافة الواحدة يتكون لديها ذات قومية، وهذا النوع من المعرفة هو بخلاف معرفة الذات الطبقية، التي لها وجهة طبقية من ناحية القيم والإحساس والأمور الأخرى؛ بل لها وجهة قومية، ومع أن معرفة الذات القومية لا تدعي مقولة النفعية، إلا أنها ليست بعيدة عن الأنانية النفعية الذاتية؛ لذلك هي شبيهة بالطبقية الفاقدة للوجهة الأخلاقية.

٦ ـ معرفة الذات الإنسانية: يعني معرفة النفس من ناحية العلاقة بجميع البشر، وهي تتكىء على هذا النوع من العلاقة، بمعنى أن الإنسان والبشر بشكل عام يشكلون وحدة واقعية.

يقول فردوسي الشاعر المعروف (ما ترجمته):

بني آدم أعضاء جسد واحد وهي مخلوق في جوهر واحد[١]

إذا اشتكى يوماً منه عضو تداعت له سائر الأعضاء

ويقول: إنك إذا لم تحزن لمحنة غيرك فلا يليق بك أن تسمى آدمياً

مع أن هذا النوع من المعرفة يبدو منطقياً أكثر من الأنواع

---

(١) هذا الشعر مكتوب باللغة الفارسية على مبنى الأمم المتحدة.

الأخرى، إلا أنه لم يلامس الواقع بشكل كبير؛ غير أن الإنسان الوحيد الذي وصل إلى الإنسانية من جهة النظرة الإنسانية الواقعية، وملاكها حقاً، وانطباق قول أعضاء الجسد الواحد والروح الواحدة هو الإنسان المؤمن، يقول رسول الله ﷺ:

«مَثَلُ المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالحمى والسهر»[1].

لهذا يقول الإمام علي عليه السلام:

«أُريد حِباءه» (ابن ملجم) **«ويريد قتلي»**[2].

٧ ـ معرفة الذات العرفانية، معرفة النفس من ناحية العلاقة مع ذات الحق، وهذه العلاقة ليست علاقة موجودَيْنِ بالعرض بل هي رابطة الفرع بالأصل، رابطة المجاز بالحقيقة، رابطة المقيد بالمطلق.

إن ألم العارف هو ألم باطني، بحيث يبدو حاجة فطرية، أما ألم الفيلسوف فهو ألم المعرفة، معرفة الحقيقة، بعبارة أخرى إن

---

(١) (جملة من صفات النبي، وافعاله، وأحاديثه، وأدعيته، مركز المصطفى، ج ١، ص٢٧٨).

(٢) (بحار الأنوار، العلامه المجلسي، ج ٤٢، ص ١٩٢ و ١٩٣، ح ٦ و٧).

حاجة العارف حاجة باطنية فطرية، أما حاجة الفيلسوف فهي الحاجة إلى معرفة الحقيقة.

فألم العارف هو ألم الوصول والوحدة والمحو، هو ألم العشق والجذب، وهذا ليس موجوداً في الحيوان، ولا في الملائكة. عندما يصبح الإنسان فانياً وخارجاً من ذاته ومحواً في الله تعالى، وعندها يعود إلى بحر الوجود الحقيقي، عندها يصل إلى المعرفة الواقعية الحقيقية للنفس.

٨ ـ معرفة الذات الرسالية النبوية: النبي أيضاً يملك معرفة إلهية للذات، أو يملك أيضاً معرفة الذات الخلقية، فهو يتألم لله وللخلق، ويعشق الله والخلق، وهذا لا يعني أبداً الثنائية والتثنية، بمعنى أن جزءاً في قلبه مع الله، والجزء الآخر مع الخلق؛ لأن الله لم يجعل له من قلبين في جوفه:

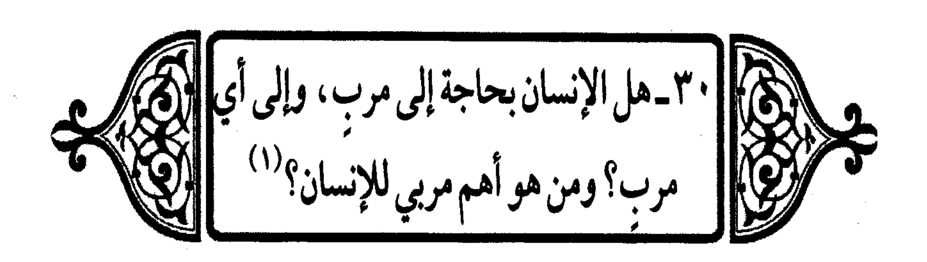
﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ﴾ (الأحزاب ـ ٤).

بل إن الأنبياء هم رجال التوحيد، ويعشقون الوجود ذرة ذرة، وذلك من جهة أن كل شيء منه تعالى، وكل شيء في الوجود مظاهر لأسمائه وصفاته، كل ما في الوجود، وكل ما أملك منه، أنا عاشق كل العالم، فكل العالم منه.

إن ألم الأنبياء هو ألم الإنسانية جمعاء، ولعلهم يصلون إلى حد الهلاك ألماً على الناس:

﴿فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا﴾ (الكهف ـ ٦).

هناك فرق كبير بين المجتمع الذي يُصنع ويُربى من قبل الأنبياء، والمجتمع الذي يُصنع من قبل المفكرين والمتنورين من البشر، الاختلاف بين هذين المجتمعين كاختلاف الأرض والسماء، وأصل الاختلاف بينهما أن الرسول يجهد لإيقاظ القوى الفطرية عند الإنسان، ويعمل لإذكاء الشعلة في وجود الإنسان، شعلة العشق الباطني والشعور المرموز عنده وفي وجوده، الرسول هو المذكر والموقظ وهو الباعث في الإنسان الأحاسيس والشعور تجاه كل الوجود، معرفة الذات هنا تنقل الذات إلى الناس بالنسبة إلى كل الوجود، أما المتنوّر فحده الأقصى إيقاظ الشعور الاجتماعي عند الأفراد، وتعريفهم بالمنافع والمصالح القومية والطبقية الخاصة بهم.



٣٠ـ هل الإنسان بحاجة إلى مربٍ، وإلى أي مربٍ؟ ومن هو أهم مربي للإنسان؟[1]

ليس عند الإنسان المتحضّر أدنى شك بأن أي إنسان لا بد له من مربي، وبالتالي فهو بحاجة إلى هذا المربي، كذلك بالنسبة إلى الشجرة، أو الوردة أو الحصان، كل ذلك بحاجة إلى تربية، وهذه الحاجة دليل الكمال، وليست دليلاً على النقص، كذلك الحيوان، بما أنه أكمل من النبات فهو بحاجة إلى تربية أكثر ما يكون للنبات، كذلك الأمر بالنسبة للإنسان، فإبن آدم وبدليل أنه أكمل من الحيوان ولديه في ذاته استعدادات كثيرة خافية، لذلك هو بحاجة ماسة أكثر من غيره إلى التربية والتعليم، وتعلّم الآداب، والعادات الحسنة، والخصال الحميدة.

لكن يجب التنبه إلى الفرق ما بين الإنسان وسائر الموجودات

---

(١) پندها واندرزها (النصايح والمواعظ).

الحية من نبات وحيوان، إن البعض يعتقد أن الإنسان مثل الحيوان، أو النبات يجب أن يربى على يد الآخرين، ويجب أن يتولاه شخص ما بالرعاية والتربية، وصناعة شخصيته، وصقلها. لا شك أن الإنسان بحاجة إلى معلم ومؤدب ومربٍ، يكون له هادياً ودليلاً، فيصقل شخصيته ويهتم بوجوده؛ لكن الحقيقة أن الإنسان ليس معدناً ولا حجراً ذا قيمة بحيث يقدم إلى صانع ماهر، ولا هو نبتة تعطى إلى مزارع يكون مسؤولاً عنها؛ بل الإنسان يملك نوعاً من الحرية الإرادية، والاستقلال الذاتي، بحيث يمكنه أن لا يتأثر بالكامل بالعوامل الخارجية، أي أنه لا يكون مجبوراً، ولا يقع تحت تأثير العوامل الخارجة عن ذاته ووجوده مئة بالمئة، ففي نهاية المطاف يجب على الإنسان نفسه أن يفكر بذاته، وعليه أن يصمم ويأخذ قراراته بنفسه، وما دام لم يصمم أو يتخذ القرارات لنفسه بنفسه؛ فإن إرادة الآخرين وتصميمهم لن يكون كافياً له.

لذلك يقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«حاسِبوا أنفسكم قبل أن تُحاسَبوا»[(1)].

(1) (شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد ج٦، ص٢٩٥ وج ١٩ ص ٢٨ ـ بحار الأنوار ج ٦٧ ص٧٣ وج٧٢ ص ١٠٧ و ج٦٨ ص٢٦٥ و ج٦٧ ص ٦٤ و ج٨ ص ١٤٥ و ج٧ ص١٢٦ و ج٤ ص٣١٠ ـ وسائل الشيعة ج١١ ص٣٨ وج١٦ ص٩٥ و٩٩ ـ، الكافي ج٨، ص ١٤٣).

ويقول الإمام الحسين عليه السلام :

«يا ابن آدم نفسك نفسك، فإنما هي نفس واحدة، إن نجت نجوت، وإن هلكت لم ينفعك من نجا»[1].

ويقول الإمام علي عليه السلام :

«غاية الأدب أن يستحي الإنسان من نفسه»[2].

قال الحكماء وكبار رجال الدين: من لم يكن في قلبه ونفسه واعظ، فإن موعظة الآخرين لن تؤثر في نفسه، ولن تفيده، وكل ذلك يعود إلى أصل واحد، ألا وهو أن الإنسان يملك هذا الفرق مع سائر الأمور القابلة للتربية، بحيث أن تربية الآخرين خارج الذات ليست كافية، من هنا، فإن كل إنسان يجب أن يكون له وازع ومربٍ من الداخل، ليجد شخصيته، فمن جهة يكون حاكماً وناصحاً، ومن جهة أخرى يكون محكوماً ومنتصحاً، من جهة يكون لوّاماً، ومن جهة أخرى يكون ملاماً، من جهة يكون محاسِباً، وأخرى يكون محاسَباً، جاء في القرآن تعبير:

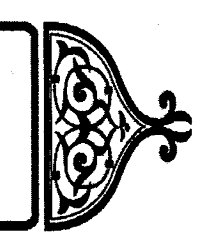
«النفس اللوامة».

---

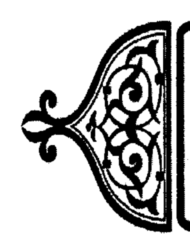
(١) (شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ١٠، ص٣٦).

(٢) (شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ٢٠، ص٢٦٥، ح ٩٠).

اللوم من خصوصيات الإنسان البارزة، بحيث يشعر في نفسه بنوع من الثنائية؛ لكن هذه الحالة ليست ازدواجية في الشخصية؛ بل كما عبر عنه الرسول الأكرم ﷺ بأن الله تعالى جعل الإنسان - هذا المخلوق العجيب - في تركيبته من الغرائز والرغبات المختلفة، وبذلك يجد في داخله حالات شبيهة بالثنائية، وهذا من شأنه وجود المربي الخارجي، لكن ذلك غير كافٍ، بل يجب أن يكون في داخل الإنسان مربٍ ذاتي، وواعظ باطني.



٣١ ـ نسبة الإنسان إلى الجبر والاختيار؟[(١)] و[(٢)]



يجيب الخواجة (نصيرالدين الطوسي) رحمه الله على هذه المسألة بأن آيات الاختيار والتفويض كثيرة، وتزيد على آيات الجبر؛ لأن دليل العقل والوجدان والحس يؤيد الاختيار، من هنا يجب تأويل آيات الجبر، يعني حملها على خلاف الظاهر من المعنى، وعلماؤنا قد أولوا كل آية في موضعها.

أما الآيات الدالة على الاختيار، فإن العلماء قد جعلوها في عشرة أبواب، وهذه إشارة إلى كل واحدة منها:

الأول: الآيات التي تنسب الفعل إلى العبد:

﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَٰبَ بِأَيْدِيهِمْ﴾ (البقرة ـ ٧٩).

---

(١) تجريد الاعتقاد خواجه نصيرالدين طوسي مبحث الجبر والاختيار ومبحث معاد.

(٢) أصول كافي، ج ١، كتاب التوحيد حديث ١٣.

﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ (الأنعام ـ ١١٦).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ (الرعد ـ ١١).

﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ﴾ (يوسف ـ ٨٣).

﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ﴾ (المائده ـ ٣٠).

﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ (النساء ـ ١٢٣).

﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ﴾ (المدثر ـ ٣٨).

﴿كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾ (الطور ـ ٢١).

﴿وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ﴾ (إبراهيم ـ ٢٢).

الثاني: الآيات التي تمدح المؤمنين على إيمانهم، وتذم الكافرين:

﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ (غافر ـ ١٧).

﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (الجاثية ٢٨).

﴿وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ﴾ (النجم ـ ٣٧).

﴿لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ﴾ (طه ـ ١٥).

﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (النمل ـ ٩٠).

﴿مَن جَآءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ (الأنعام ـ ١٦٠).

﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ (طه ـ ١٢٤).

﴿أُولَٰٓئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا﴾ (البقرة ـ ٨٦).

﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَٰنِهِمْ﴾ (آل عمران ـ ٨٦).

الثالث: الآيات الدالة على أن أفعال الله تعالى ليست كأفعالنا؛ لأن أفعاله تعالى ليس فيها اختلاف:

﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ الرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ (الملك ـ ٣).

﴿الَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ﴾ (السجدة ـ ٧).

﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ (الحجر ـ ٨٥).

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ (النساء ـ ٤٠).

﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ (آل عمران ـ ١٨٢).

﴿وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ﴾ (النحل ـ ١١٨، هود ـ ١٠١).

﴿لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ﴾ (غافر ـ ١٧).

﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ (النساء ـ ٤٩).

الرابع: الآيات الدالة على مذهب العباد في الكفر والمعصية:

﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ﴾ (البقرة ـ ٢٨).

﴿وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَىٰ﴾ (الكهف ـ ٥٥).

﴿وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (النساء ـ ١٧).

﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ﴾ (ص ـ ٧٥).

﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ﴾ (مدثر ـ ٤٩).

﴿لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ﴾ (آل عمران ـ ٧١).

﴿لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ﴾ (آل عمران ـ ٩٩).

الخامس: الآيات الدالة على التخيير المشوب بالعتاب:

﴿فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ (كهف ـ ٢٩).

﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ (فصلت ـ ٤٠).

﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ (المدثر ـ ٣٧ و٤١).

﴿فَمَن شَاءَ ذَكَرَهُ﴾ (المدثر ـ ٥٥، عبس ـ ١٢).

﴿فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا﴾ (المزمل ـ ١٩، الإنسان ـ ٢٩).

﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾ (النبأ ـ ٣٩).

﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ (الأنعام ـ ١٤٨).

﴿وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَـٰنُ مَا عَبَدْنَـٰهُم﴾ (الزخرف ـ ٢٠).

السادس: الآيات الدالة على الإسراع إلى الخير قبل فوات الأوان:

﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (آل عمران ـ ١٣٣).

السابع: الآيات الدالة على حث الناس على طلب العون من الله تعالى، وتحضهم على ذلك وتشمل حال العباد:

﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ (الفاتحة ـ ٥).

﴿فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَـٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ (النحل ـ ٩٨).

﴿ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ (الأعراف ١٢٨).

﴿أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِى كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ﴾ (التوبة ـ ١٢٦).

﴿ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ (التوبة ـ ١٢٦).

﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ (الزخرف ـ ٣٣).

﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ﴾ (الشورى ـ ٢٧).

﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ﴾ (آل عمران ـ ١٥٤).

﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ﴾ (العنكبوت ـ ٤٥).

الثامن: الآيات الدالة على استغفار الأنبياء في ترك الأولى:

﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ (الأعراف ـ ٢٣).

﴿سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ (الأنبياء ـ ٨٧).

﴿رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى﴾ (النمل ـ ٤٤).

﴿رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ﴾ (هود ـ ٤٧).

التاسع: الآيات الدالة على إقرار المذنبين بذنوبهم:

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ (الأنعام ـ ٩٣).

﴿مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ * قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ﴾ (المدثر: ٤٢ ـ ٤٣).

﴿كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ﴾ (الملك ـ ٨).

العاشر: الآيات الدالة على حسرة الكفار على كفرهم ومعصيتهم:

﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾ (فاطر ـ ٣٧).

﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا﴾ (المؤمنون ـ ١٠٧).

﴿رَبِّ ٱرْجِعُونِ﴾ (المؤمنون ـ ٩٩).

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ﴾ (السجدة ـ ١٢).

﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً﴾ (الزمر ـ ٥٨).

هذه الآيات تعارض الآيات الدالة على الجبر، وهي المرجحة؛ لأن التكليف يقتضي أن تكون الأفعال صادرة منا نحن البشر، أما في حال انعدام القدرة فإن الوعد والوعيد، والإنذار والتخويف، كل ذلك يصبح بلا فائدة.

وحسن المدح والذم على المتولد يقتضي العلم بإضافته إلينا.

يقول المتكلمون في الفعل المتولد: إن الفعل الحاصل بقدرة الإنسان في غير واسطة هو الفعل المباشر، أما الحاصل بالواسطة فهو مرتبط بالقدرة؛ يعني من القدرة، وهما (حسن وقبح)

عقليان، للعلم بحسن الإحسان وقبح الظلم من غير شرع، ولانتفائهما معلقاً لو ثبتا شرعاً ولجاز التعاكس.

فحسن الأفعال وقبحها، ثابت بالعقل وليس فقط بالشرع، لأنه نحن على يقين أن الإحسان إلى الفقراء والمعوزين أمر حسن، وظلم الناس أمر قبيح، فإذا لم يكن الحسن والقبح عقليين لم يثبتا شرعاً؛ لأنه إذا كان الكذب ليس قبيحاً، وأخبرنا نبي ثبتت نبوته بأن الكذب قبيح، ولا يمكن قبول ذلك منه لأنه يحتمل الكذب.

وأيضاً لا تثبت النبوة لأن خلاف الحكمة على الله ليس قبيحاً، وتصديق الكاذب ليس من القبح، وإذا لم يكن الحسن والقبح عقليين فمن المحتمل أن يكون قتل البريء حسن، والإحسان إلى الضعفاء عمل قبيح.

ووجوب إيفاء الوعد والحكمة يقتضي وجوب البعث.

فالوفاء بالوعد واجب؛ إذن يجب أن يفي بالوعد، وذلك من مقتضى الحكمة، بأن يجزي الله المحسنين، ويعاقب المسيئين والظالمين حتى تسري قوانين الأنبياء.

سأل رجل أمير المؤمنين عليه السلام بعد وقعة صفين، وكان الإمام في الكوفة، فقال: هل كان ذهابنا إلى حرب الشام بقضاء الله

وقدره؟ فقال له الإمام: أجل كان كذلك، فقال الرجل: إذن أنا لست مأجوراً على ما تحملته من مشقة السفر والحرب، لأنه كان من قضاء الله وقدره، عندها قال الأمير عليه السلام:

«أنه لو كان كذلك لبطل الثواب والعقاب، والأمر والنهي، والزجر من الله، وسقط معني الوعد والوعيد فلم تكن لائمة للمذنب، ولا محمدة للمحسن، ولكان الذنب أولى بالإحسان من المحسن، ولكان المحسن أولى بالعقوبة من المذنب، تلك مقالة إخوان عبدة الوثان، وخصماء الرحمن، وحزب الشيطان، وقدرية هذه الأمة ومجوسها، إن الله تبارك وتعالى كلف تخييراً ونهى تحذيراً، وأعطى القليل كثيراً، ولم يعص مغلوباً، ولم يطع مكره، ولم يملك مفروضاً، ولم يخلق السماوات والأرض وما بينهما باطلاً، ولم يبعث الله ﴿ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ (البقرة ـ ٢١٣) عبثاً ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ (ص ـ ٢٧)»[1].

عن أبي عبد الله الإمام الصادق عليه السلام قال:

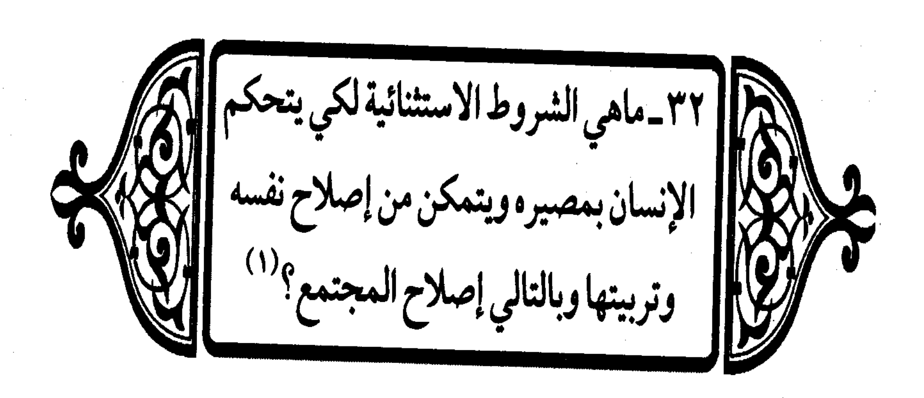
«لا جبر ولا تفويض ولكن أمر بين الأمرين، قال: قلت وما

---

(١) (بحار الأنوار، العلامه المجلسي، ج٥، باب القضاء والقدر، ص١٢٦، ح ٧٧).

أمر بين الأمرين؟ قال: مثل ذلك رجل رأيته على معصية فنهيته فلم ينته، فتركته ففعل تلك المعصية، فليس حيث لم يقبل منك فتركته كنت أنت الذي أمرته بالمعصية»[1].

(1) (الكافي، ج ١، باب الجبر والقدر والمر بين الأمرين، ح ١٣).



٣٢ـ ماهي الشروط الاستثنائية لكي يتحكم الإنسان بمصيره ويتمكن من إصلاح نفسه وتربيتها وبالتالي إصلاح المجتمع؟[١]

إن الإنسان لكي يستطيع أن يتحكم بمصيره ومجتمعه على الأقل، عليه أن لا يستسلم للأوضاع المحيطة به بالكامل، الشرط الأساس هو التفكر، والتفكر الأخلاقي الذي هو مورد البحث شبيه إلى حد بعيد، بل هو نظير محاسبة النفس، وهذا الأمر يعني أن الإنسان يجب أن يعطي نفسه فرصة في الليل والنهار، بحيث ينقطع عن جميع الأشياء والمتعلقات، ويبدأ في نوع من إصلاح الذات، أي إصلاح الباطن، بعبارة أخرى يجب أن يعمل فكره ويدخل إلى أعماق ذاته، ويفكر في أوضاعه وقراراته التي يتخذها، والأعمال التي أنجزها وينجزها، وكل ما يقع تحت

(١) تعليم وتربيت (التعليم والتربية).

فعله، فيبدأ بتقييم هذه الأفعال في الماضي والحاضر، ثم في تقييم كل ما حوله من رفقاء المعشر.

فإذا قرأ كتاباً على سبيل المثال، يجب أن يجلس ويفكر في ما قرأه، ماذا استفدت منه؟ ما هو الأثر الذي تركه في نفسي؟ هل هو جيد أم سيء؟ لينطلق بعدها إلى انتخاب الكتاب الآخر، ويدقق، ويتفحص جيداً كيف يختار الكتاب، لأن الإنسان محدود العمر والفرصة ليست طويلة أمامه، ولا يمكنه قراءة كل ما في العالم من كتب، لذلك عليه أن يختار.

يقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«العمر قصير، والعلم كثير، فخذوا من كل علم ظروفه، ودعوا فضوله».

«خذوا من كل علم أرواحه، ودعوا ظروفه فإن العلم كثير، والعمر قصير»[1].

أيضاً يقول عليه السلام:

«العلم أكثر من أن يحاط به، فخذوا من كل علم أحسنه»[2].

---

(١) نزهة الناظر وتنبيه الخاطر، الحلواني، ص٩.

(٢) (غرر الحكم ١٨١٩ و٢١٧٤ ـ عيون الحكم والمواعظ: ٥٤ / ٢١٧٤).

أن تفكر يعني أن تبحث عن أثر الفعل، ماذا يترك من أثر، ما ردة الفعل التي يتركها، إلى أين يأخذنا هذا الفعل؟ وبتعبير الحديث الشريف عاقبة الأمر والتدبر فيه.

والتدبر من مادة دبر جمعها أدبار، يعني عقب وخلف ومؤخر الشيء، وهذا يعني النظر والتفكر في عاقبة الأمر والفعل. ليس على الإنسان فقط أن ينظر إلى وجه الفعل وصورته، بل عليه النظر إلى عاقبته، إلى ما خلفه، إلى ما يتركه من أثر، إن أكثر الأشخاص لا يرون من الفعل إلا صورته، ولا ينظرون إلى آثاره وإلى عاقبته، وكم من فعل صورته حسنة لكن عاقبته سيئة. التدبر بعاقبة الأمور يعني أن على الإنسان أن ينظر إلى ما يخلفه ذلك الأمر، وما يترك من أثر قبل أن يقوم بإنجازه.

هناك أيضاً عوامل أخرى في التعاليم الإسلامية تدخل في باب الإصلاح وتربية النفس، أهمها:

- تقوية الإرادة
- العبادة
- المحبة
- تقوية الحس، البحث عن الحقيقة

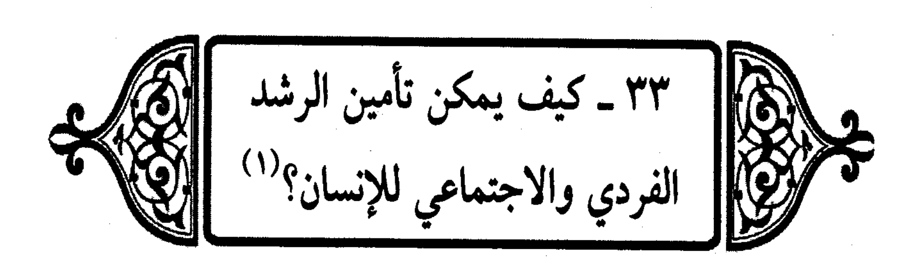
- المراقبة والمحاسبة

- محبة الأولياء

- الجهاد

- الزواج

- العمل.



٣٣ ـ كيف يمكن تأمين الرشد الفردي والاجتماعي للإنسان؟[1]

الرشد من المسائل التي يجب أن يكون الإنسان حراً فيها، ليس من جهة أنه غير قابل للإجبار، بل من وجهة أخرى، فإذا أراد البشر أن يحصلوا الرشد، عليهم أن يكونوا أحراراً في أعمالهم، وأحراراً فيما يحبون وينتخبون، فأنت إذا أردت أن تربي ولدك تربية صالحة، واستعملت معه أسلوب الأمر والنهي بشكل دائم، إفعل كذا، لا تفعل كذا، اذهب إلى هناك، لا تأت إلى هنا، فمن المحال أن يكون لدى ولدك شخصية قوية ومستقلة، نعم، عليك مراقبته وإرشاده في حدود معينة، ومن جهة أخرى عليك تركه حراً إلى حد معين.

وهذا يعني الموازنة بين الرشد والحرية، فالقيّمون

---

(١) شناخت (المعرفة).

الاجتماعيون ـ وفي كثير من الأحوال ـ إذا لم يقوموا بإرشاد البشر وهدايتهم، فهذا يعني ضلال البشر، كذلك إذا تركوهم كلياً، فهذا ليس بأحسن حال من السابق.

إن البعض قد يسلبون حرية الآخرين، بحجة أنهم لا يعرفون ولا يفهمون ولا يفقهون، أو أنهم لا يليقون بالأمر، وعلى قاعدة أن الناس لا يفهمون، وغير لائقين، فإنهم يبقون إلى الأبد كذلك، لا يفهمون وغير لائقين. لو أخذنا الانتخابات على سبيل المثال، سواء في انتخاب وكيل عن الشعب، أو أي أمر آخر، وكنت أنت ولياً على أمور الشعب، أو لديك سلطة ما عليه، وكنت شخَّصت ـ وعن حسن نية ـ أن فلاناً هو الشخص الجيد والمناسب لمنصب ما ـ وهذا الشخص ـ في حقيقة الأمر ـ يليق بهذا المنصب وعلى الناس أن ينتخبوه، فتأتي وتفرض على الناس فرضا، وتقول لهم أنتم لا تفهمون ولا تدركون، وعليكم انتخاب فلان، إن هؤلاء الناس حتى قيام الساعة لن يصبحوا بشراً بالمعنى الكامل للكلمة، ولن تكتمل شخصيتهم، وبالتالي لن يتحقق الرشد الاجتماعي، الصحيح أن تترك لهم حرية الفكر، وعليهم أن يفكروا ويجهدوا في عملية الانتخاب، على الشخص المنتخب أن يقوم بتبليغ الناس عن فكره وبرنامجه، وعلى الشخص

المُنتَخِب أن يفكر في انتخاب فلان أوفلان. يمكن أن يكون متردداً في انتخاب شخص ما لفترة معينة، هل ينتخب فلاناً أو فلاناً؟، هذا أصلح أم ذاك؟ فليخطىء مرة ومرتين، في المرة الثالثة يستفيد من أخطائه وتجاربه، ويصحح مواقفه، وتكتمل تجاربه، وهذا يدفع باتجاه تكامل المجتمع، أما سلب حرية الاختيار لدى الناس، بحجة عدم الفهم، وعدم اللياقة، وعدم الرشد عند الأمة، فهذا يعني أن الأمة، سوف لن تصل إلى الرشد الاجتماعي، ولن تكون أمة رشيدة. إن رشد الفرد أو الأمة بأن تدعه حراً، تتركه يختار، حتى لو أخطأ في بداية الأمر مرة، أو مرات عدة، كمثل شخص يريد تعليم ولده السباحة هل يمكنه ذلك بإعطاء الدروس فقط، إن ذلك لن يجعله سباحاً، ولو أمضى عمره يدرس قوانين السباحة وفنونها، نعم عليه تعلم قواعد السباحة وفنونها، ومع ذلك عليك أن تتركه يغطي في الماء، سوف يخطىء في بداية الأمر، سوف يبتلع بعض الماء، ويشعر بالتعب وسوء الحالة، لكن في النهاية سوف يتعلم السباحة.

إن أهم أسباب تحضر الأمة الإسلامية واتساع حضارتها، الترغيب والحض على التفكر والعلم والتعلم والتعليم، الأمر الآخر هو احترام الإسلام لحضارة الآخرين وعقائدهم، لقد كانت

نظرة الإسلام للآخرين نظرة احترام، وهذا سبب دخول الأمم الأخرى وتماهيها مع حضارة الإسلام، وقبولها للدين الجديد.

أمير المؤمنين عليه السلام كان يكرر في مجالسه:

«سلوني قبل أن تفقدوني»[1].

ولما نهض أحد الأشخاص وسأله بفظاظة، وأسلوب سيء، بعض الصحابة أرادوا أذيته، لكن أمير المؤمنين عليه السلام قال:

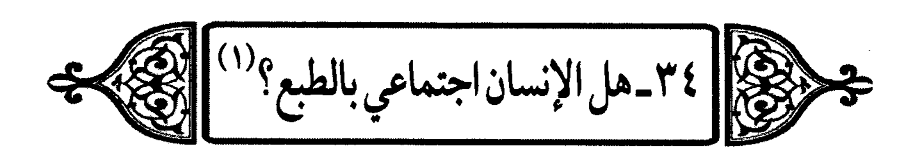
«إن الطيش لا يقوم به حجج الله، ولا تظهر به براهين الله»[2].

وهذا هو الأسلوب الناجع، إن دين الله لا يقوم، والبرهان لا يظهر، بالعصبية والغضب، ثم ان الرجل سأله عدة أسئلة والأمير أجابه، في النهاية نطق الرجل بالشهادتين، في مثل هذه المواضيع والمسائل لا وجود لأسلوب القمع، كذلك الأمر في زمن الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله، كان الناس يأتون إليه يسألونه ويجيبهم من غير غضب ولا انزعاج.

---

(١) (نهج البلاغة خطبة ١٨٩ ـ بحار الأنوار، ج١٤، باب ورد بلفظ نبي من الأنبياء وبعض النوادر ح ٢٦ ـ و ج ٢٦، أبواب علومهم(ع)، ح ١١٦ ـ وج ٣٩، باب السادس والسبعون، ح ١٣).

(٢) (بحار الأنوار، ج ٥٤، بيان في علة تخصيص ستة أيام يخلق العالم، ح ١٨٣).



٣٤ـ هل الإنسان اجتماعي بالطبع؟[١]

هل خلق الإنسان اجتماعياً بالطبيعة؟ يعني جزءاً طبيعياً من الكل، أم أنه لم يخلق اجتماعياً بالطبع، ثم أن الأحوال الخارجية جعلته مجبوراً أو مضطراً للعيش بشكل اجتماعي، يعني هل أن الإنسان اجتماعي بالفطرة، أم أنه مجبور على ذلك؟

الآيات الكريمة في القرآن الكريم، تشير إلى أن الإنسان اجتماعي في صلب خلقته، وفي أصل طبيعته، يحب العيش جماعياً، جاء في سورة الحجرات:

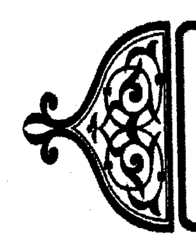
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾ (الحجرات ـ ١٣)

في هذه الآية إشارة إلى فلسفة اجتماعية خاصة لخلق الإنسان، وذلك في سياق قواعد أخلاقية وعلى النحو التالي: إن

---

(١) جامعه و تاريخ (المجتمع والتاريخ).

الإنسان خُلق ليعيش بشكل جماعات مختلفة، وعلى صورة قبائل وأمم وشعوب مختلفة، ليتعرف بعضهم على بعض في إطار انتسابهم إلى مجموعات وقبائل وشعوب، بشرط عدم تفكك الحياة الاجتماعية؛ يعني أن هذا الانتساب الذي له من جهة وجه اشتراك الأفراد، ومن جهة أخرى افتراقهم، إذا لم يكن موجوداً فإن التعارف لا يمكن حصوله، وبالتالي فإن إمكانية الحياة الاجتماعية على أساس الروابط الإنسانية بعضها ببعض ليست ممكنة. فإذا انعدمت الروابط المختلفة، وانعدم الانتساب بين الناس، ولم تكن الروابط هي الحاكمة، فإن البشر عندئذ يصبحون كالبضاعة في مقابل بعضهم البعض، متحدون فقط في الشكل، فهم خرجوا من مصنع واحد، وهذا يعني عدم التمييز فيما بينهم، وعدم التعارف، وبالنتيجة انعدام الحياة الاجتماعية على أساس الروابط والتبادل الفكري والعملي؛ إذن الانتساب إلى الشعبة والقبيلة له حكمة وغاية طبيعية، وهذا الاختلاف والتعارف عند الأشخاص هو شرط لا ينفك عن الحياة الاجتماعية، كل ذلك من غير تفاخر ولا علو بل بالكرامة والشرف والتقوى.



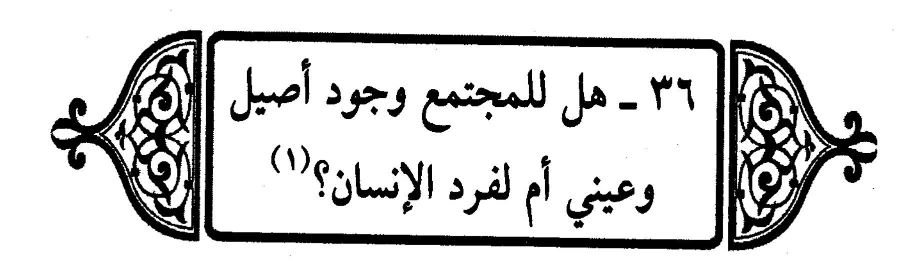
٣٥ ـ كيف تكون حياة البشر الاجتماعية؟[١]



بخلاف رأي المادية المتعصبة الذى يمنع تعصبها بيان حقيقة رأي الإلهيين، فإن نظرية الحركة، ولأول مرة تكلم عنها الإلهيون، كذلك بالنسبة إلى نظرية الترابط العضوي، التي تسمى بنظرية الارتباط، فإن هؤلاء الإلهيون هم أول من قال بأن العالم بمنزلة الإنسان، وعلاقة أجزاء الكون ببعضها تشبه علاقة أعضاء الإنسان ببعضها، يعني أن العلاقة بين أجزاء الكون هي علاقة عضوية، لقد قال الإلهيون بذلك حتى قبل أبي علي سينا، وأورد الحاج ملا هادي السبزراوي ذلك في كتاباته.

---

(١) شناخت (المعرفة).



٣٦ ـ هل للمجتمع وجود أصيل وعيني أم لفرد الإنسان؟[1]

بالنسبة إلى هذه النظرية توجد عدة آراء وهي عبارة عن التالي:

أ ـ إن تركيبة المجتمع من الأفراد هي تركيبة اعتبارية، وليست واقعية كما الأوكسيجين والهيدروجين مثلاً، حيث يؤلفان مادة جديدة اسمها الماء، يكون من لوازم التركيب الحقيقي لها، أن أجزاءها بعد فرض التركيب والاندماج ببعضها تفقد ماهيتها وخاصيتها وآثارها، وتنحل في المركب.

يعني أن الفرد له وجود أصيل وعيني وحقيقي، ففي حين أن حياة الإنسان في المجتمع لها شكل وماهية اجتماعية، فإن أفراد المجتمع يدخلون في صورة مركب حقيقي إسمه المجتمع (رأي الأصالة الإنفرادية المحضة).

---

(١) جامعه وتاريخ (المجتمع والتاريخ).

ب ـ المجتمع ليس مركّباً حقيقياً كباقي المركّبات الطبيعية؛ بل هو مركّب صناعي، ففي المركب الطبيعي تفقد الأجزاء هويتها الخاصة، وتنحل في الكل، وبالتالي تفقد بالطبع وبالجبر استقلال أثرها.

أما في المركب الصناعي، فإن الأجزاء فيها تفقد هويتها؛ لكنها تفقد استقلال أثرها؛ يعني أن الأجزاء تترابط مع بعضها بشكل خاص، وبالتالي فإن آثارها تترابط ببعضها بشكل ما، بحيث تكون الآثار الناتجة عن هذا الترابط مختلفة، وليس هي عينها في أثر الأجزاء في حالة الاستقلال، أي قبل الترابط، فالمجتمع يتشكل من بُنى ومؤسسات أصلية وفرعية، هذه المؤسسات وهؤلاء الأفراد التي ترتبط بها المؤسسات كلها مرتبطة ببعضها البعض، لذلك فإن أي تغيير في أي مؤسسة، خصوصاً في المؤسسات الفكرية والمذهبية والسياسية والاقتصادية والقضائية والسياحة؛ يستدعي تغييراً في المؤسسات الأخرى، والحياة الاجتماعية بعنوان أثر قائم تظهر بكل آلة المجتمع، وذلك من دون أن يفقد الأفراد المرتبطون بشكل كلي في المجتمع والمؤسسات هويتهم الشخصية، بحيث تكون الميزة في أن اجزاء المجتمع منخرطة في رابطة علِّية ومعلوليّة ميكانيكية الآثار، حركاتها مرتبطة ومعقولة ببعضها (رأي الأصالة الفردية).

ج ـ المجتمع مركب حقيقي من نوع المركبات الطبيعية؛ لكنه تركيبٌ في الأساليب والأفكار والعواطف والإرادات، وفي النهاية في الثقافة، وليس تركيباً أصولياً عضوياً في المضمون، يعني أن أفراد الإنسان يدخلون الحياة الاجتماعية كل واحد برأسماله الفطري والاكتسابي الطبيعي، ويندمجون مع بعضهم بحيث يتجلى عن ذلك روح جديدة يعبَّر عنها «بالروح الجمعي»، أو «الروح الجامعة»، يعني أن هوية أخرى تظهر من جراء تركيب هوية الأفراد، سواء الفرد الأصيل أو المجتمع.

د ـ المجتمع مركب حقيقي فوق المركبات الطبيعية، بمعنى أن أجزاء المركبات الطبيعية قبل التركيب لها في ذاتها هوية وآثار، لكن بعد التركيب أو بعد التأثير والتأثر فيما بينها تظهر أرضية لظاهرة جديدة، أما بالنسبة للأفراد، وطبقاً لهذا الرأي، فإن الفرد الإنساني قبل الوجود الاجتماعي ليس له أية هوية إنسانية، وهو عبارة عن وعاء فارغ ويملك فقط استعداداً لقبول الروح الجمعي، والإنسان من دون الوجود الاجتماعي هو محض حيوان، وعنده فقط استعدادات الإنسانية، أما بالنسبة لإنّيّة الإنسان، والتفكير الإنساني، والعواطف والإحساسات والميول والرغبات المرتبطة عادة بالإنسانية، فإنها تظهر وتتبلور في شعاع الروح الجمعي،

هذا الروح الجمعي هو الذي يملأ الوعاء الفارغ، ويبلور الشخص ويظهره بصورة شخصية.

هذا الرأي يعتبر أن علم الاجتماع الإنساني، مقدم على علم النفس الإنساني، خلافاً للرأي السابق القائل بعلم النفس للإنسان في مرحلة ما قبل الوجود الاجتماعي (الأصالة الاجتماعية المحضة).

أما فيما يتعلق بالقرآن، فإنه يؤيد النظرية الثالثة.

يعني أن القرآن يقول بالمصير المشترك للأمة والمجتمع، وبالعمل المشترك وبالفهم والشعور والعمل والطاعة والعصيان، بعبارة أخرى القرآن يقول بنوع من الحياة الجمعية والاجتماعية بالنسبة للمجتمعات،

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (الأعراف ـ ٣٤).

﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا﴾ (الجاثية ـ ٢٨).

﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾ (غافر ـ ٥).

القرآن الكريم في بعض الموارد ينسب فعل فرد من أفراد

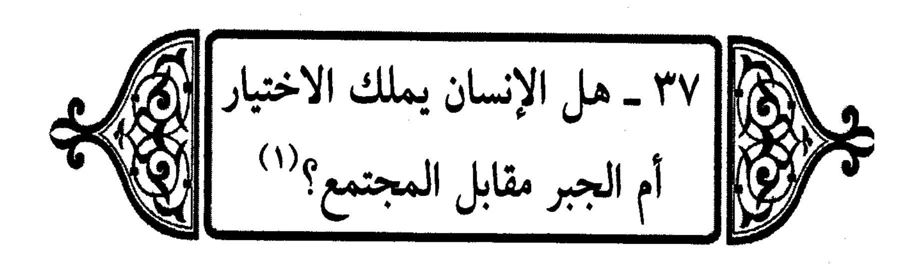
إحدى المجتمعات إلى كل المجتمع، أو ينسب فعل جيل من الأجيال إلى الجيل التالي الذي يأتي بعده، وهذه من الموارد التي يملك الناس فيها فكراً اجتماعياً واحداً، وإرادة اجتماعية واحدة؛ أي عندهم روح جمعي، ففي قصة قوم ثمود، حيث قام فرد واحد بعقر ناقة ثمود، فيما نُسِبَ الفعل إلى القوم جميعهم:

﴿فَعَقَرُوهَا﴾ (الشمس ـ ١٤).

لقد عُدَّ أن جميع القوم قد عقروها، وهذا يعني أنه عندما يقوم الناس بصورة جمعية بعمل ما، فإن مصيرهم يكون واحداً، بحيث يشمل الحكم كل المجتمع، حتى لو قام بالفعل فرد واحد سواء بالرضا أو بغير الرضى.

من هنا فإن عموم الناس من قوم ثمود كانوا راضين، وبشكل جمعي على فعل فرد واحد، وهذا الفعل قد تم، فإنه في الحقيقة كان قرار عموم الناس، والجميع يتحمل حكم هذا الفعل وعاقبتة؛

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ * إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا * فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَـٰهَا * فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا * وَلَا يَخَافُ عُقْبَـٰهَا﴾ (الشمس: ١١ ـ ١٥).



٣٧ ـ هل الإنسان يملك الاختيار أم الجبر مقابل المجتمع؟[1]

بناءً للنظريات الأربع التي وردت فيما يتعلق بأصالة الفرد والمجتمع، قيل: طبقاً للنظرية الأولى يمكن القول أنه ليس عند الإنسان أي جبر اجتماعي، وليس هناك سوى القدرة الفردية، ولا يوجد شيء باسم القدرة الجمعية.

أما طبقاً للنظرية الرابعة، فإن كل الشخصية الإنسانية الكلية للفرد والعقل الفردي والإرادة الفردية، والتي هي المبنى الأساس لاختياره، ما هي إلا شعاع من تجلي العقل الجمعي، والإرادة الجمعية، يقول إميل دوركهايم (عالم الاجتماع الفرنسي) والقائل بالأصالة الاجتماعية إلى هذا الحد: الأمور الاجتماعية في الحقيقة أمور إنسانية، خلافاً لأمور من قبيل الطعام والنوم، وهي مرتبطة

(١) جامعه وتاريخ (المجتمع والتاريخ).

بالناحية الحيوانية عند الإنسان، وعلم البيئة عنده، وهي حصيلة المجتمع وليست حصيلة الفكر الفردي، والإرادة الفردية، ولها ثلاث مميزات؛ الميزة الخارجية، والميزة الجبرية يعني فرض نفسها على الفرد، والميزة الثالثة هي تشكيل وجدان الفرد وإحساسه وفكره وعاطفته، وصبغ هذه المسائل الفردية بصبغتها، والإجبار يستلزم التعميم والشمول.

أما طبقاً للنظرية الثالثة، يعني القول بأصالة الفرد وأصالة المجتمع، ومهما بلغت قوة المجتمع، وتغلبت على القوة الفردية، فإن هذا الأمر لا يستلزم إجبار الأفراد في المسائل الإنسانية، والأمور الاجتماعية.

إن الجبرية عند دوركهايم ناشئة من إغفال مسألة أن أصالة الفطرة الإنسانية الناشئة من التكامل الجوهري للإنسان هي من صلب الطبيعة، إن هذه الفطرة تمنح الإنسان نوعاً من الحرية والإمكان، بحيث تعطيه القدرة على العصيان، في مواجهة ما يفرضه المجتمع، وهذا هو الحاكم فيما يتعلق بالفرد والمجتمع، بنوع من «أمر بين الأمرين».

القرآن يعبّر في سورة النساء آية ٩٧، فيما يتعلق بالجماعة التي

تدّعي العجز والاستضعاف، في مجتمع مكة، وتعتبره عذراً في ترك مسؤوليتها الفطرية، ويعدون أنفسهم مجبورين في مقابل المجتمع الذي يعيشون فيه بقوله:

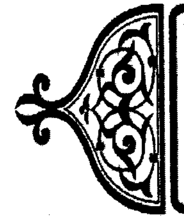
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ (النساء ـ ٩٧).

إن عذرهم ليس مقبولاً بأي وجه من الوجوه، لأنهم كانوا ـ على الأقل ـ يستطيعون المهاجرة من الجو الاجتماعي الذي كانوا يعيشون فيه، إلى مجتمع آخر.

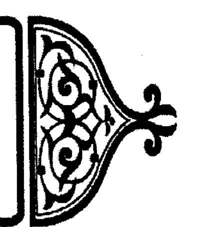
ويقول في مكان آخر:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ۚ﴾ (المائدة ـ ١٠٥).

إذن بالنظرة إلى أن أفراد الإنسان يشكلون أجزاء هذا المجتمع، فهم يتمتّعون بالعقل والإرادة الفطرية، في الوجود الفردي والطبيعي للفرد وهو المقدم على الوجود الاجتماعي، يضاف إلى ذلك ان الاستقلال النسبي للأجزاء في تركيب المراتب «ما فوق الطبيعة» محفوظ، والفرد الإنساني يعني الروح الفردية ليست مسلوبة أو مجبورة في مقابل الروح الجمعي.



٣٨ـ ما هو ميزان محدودية فضاء الحرية والإرادة الإنسانية؟[(١)]



الإنسان في صلب حريته تحكمه محدوديات كثيرة. فيما يتعلق بصناعة ذاته ونظمه النفسية، وتبديل محيطه الطبيعي إلى ما هو مطلوب لذاته، وفي صناعة مصيره كما ينبغي ويريد، بحيث تكون حريته نسبية؛ أي أن الحرية تكون في دائرة محدودة حيث يمكنه من هذه الدائرة المحدودة أن يختار مستقبلاً سعيداً أو يختار مستقبلاً شقياً.

ومحدوديات الإنسان من عدة أوجه:

١ ـ **الوراثة**: إن الإنسان يولد في هذه الدينا بالطبيعة الإنسانية، ولأن والديه من البشر، فإنه سيولد قهراً كفرد من

---

(١) انسان در قرآن (الإنسان في القرآن).

البشر، وسيرث حتما سلسلة من الصفات الوراثية من أمه وأبيه؛ كلون البشرة والعيون بالإضافة إلى الخصوصيات الجسدية الأخرى.

٢ ـ **المحيط الطبيعي والجغرافي**: هذا المحيط الذي يعيش فيه الإنسان وينمو ـ شاء الإنسان أم أبى ـ فإنه يترك سلسلة من الآثار القهرية في أعضائه وروحه الإنسانية، فجهة البرودة أو الحرارة أو الاعتدال كل واحدة منها توجب نوعاً من الروحية والأخلاق.

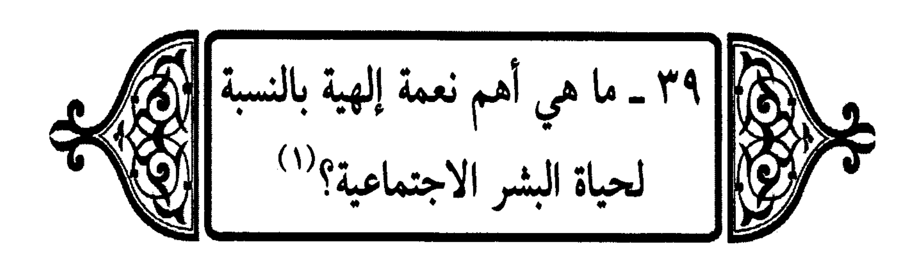
٣ ـ **المحيط الاجتماعي**: المحيط الاجتماعي عامل مهم في تكوين الخصوصيات الروحية والأخلاقية للإنسان. إن لغة الإنسان وآداب الدين والمذهب العرفية والاجتماعية، غالباً ما تكون هذه الأمور عوامل المحيط الاجتماعي الذي يفرض على الإنسان.

٤ ـ **التاريخ والعوامل الزمنية**: الإنسان من ناحية المحيط الاجتماعي لا يقع تحت تأثير الزمن الحالي فقط؛ بل رن الزمن الماضي والوقائع والحوادث التي وقعت في الماضي لها تأثير كبير في نشأته وصناعة شخصيته.

دور الإنسان في مقابل هذه المحدوديات:

في حين إن الإنسان لا يمكنه قطع علاقته كلياً بالعوامل التي

ذكرت سابقاً، إلا أنه يستطيع ان يتمرد عليها إلى حد بعيد، بحيث يمكنه أن يحرر نفسه من قيودها الحاكمة، فحكم العقل والعلم والإرادة والإيمان يستطيع أن يحدث فيها تغييرات، ويطوِّعها طبقاً لحاجته وإرادته ويملك مصيره بيده.



٣٩ ـ ما هي أهم نعمة إلهية بالنسبة لحياة البشر الاجتماعية؟[(١)]

إن أهم وأكبر نعمة أنعم الله بها على البشر هي نعمة اللغة والنطق والبيان، فالحكماء يعتبرون أن أهم ميزة تميز الإنسان عن سائر المخلوقات هي النطق والبيان؛ لأن تكلم الإنسان من باب الفهم والإدراك يعد أهم وأفضل مظهر وأحسن ممثل لتعقل الإنسان وفكره.

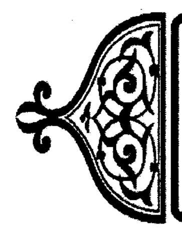
يقول القرآن:

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ * عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ * خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ * عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ﴾ (الرحمن: ١ ـ ٤).

إن البشر يستطيعون ـ بموجب قوة النطق والبيان هذه ـ أن

(١) پندها واندرزها (النصايح والمواعظ).

يفهموا بعضهم ما في ضمائرهم من نيات، ويطلعوا الآخرين على أفكارهم ومعلوماتهم، وحالاتهم المختلفة، وبفضل هذه القوة ينتقل العلم من فرد إلى فرد، ومن نسل إلى نسل، فلولا هذه القوة لكانت حياة البشر الاجتماعية مستحيلة، لهذه النعمة بدورها شكر، والشكر يكون باستخدامها كما أراد مُنْعِمُها فهي وسيلة لقول الحقيقة، وليست وسيلة للكذب، وقول ما يخالف الحق ويخالف الصدق، أو الغيبة والتهمة، إن الله تعالى خلق اللسان ليجعله الإنسان وسيلة لكشف الحقيقة، ويستعمله وسيلة لهداية البشر، فلا يجعله وسيلة للتعمية على الحقيقة، ويستعمله في سبيل الضلال والنفاق.



٤٠ ـ ما هو أكبر رأسمال للإنسان في الحياة الإجتماعية؟[١]



يقول الرسول الأكرم ﷺ:

«يا بني عبد المطلب إنكم لن تسعوا الناس بأمولكم، فألقوهم بطلاقة الوجه، وحسن البشر»[٢].

إن ثروة الأخلاق والعمل الحسن ليست محدودة مثل الثروة المالية، بحيث تصل إلى شخص واحد بينما يبقى آلاف الأشخاص محرومين منها؛ لا بل قد تصبح موجبة للبغض والحسد والضغينة.

ثم إن التزاحم والتصادم والتنازع يولد الضيق والمحدودية، فعندما يزيد الطلب ويقلّ العرض، عندما يكثر الجوع ويقل الغذاء

(١) پندها واندرزها دندها واندرزها (النصايح و المواعظ).
(٢) (الكافي، ج٢، باب حسن البشر، ح١).

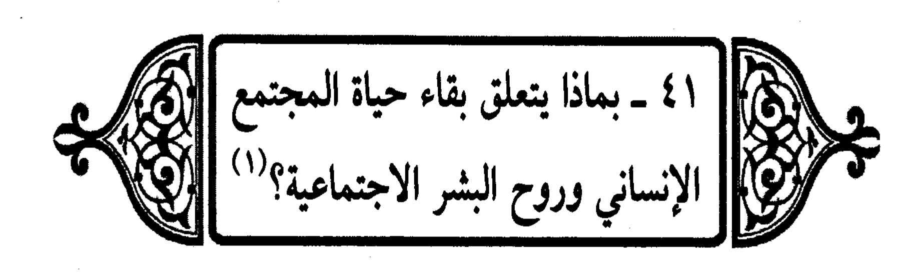
تنشأ النزاعات وتزيد الحروب وسفك الدماء، لكن يجب التنبه إلى أنه في بعض الأحيان حيث لا يوجد ضيق ولا محدودية، وفي نفس الوقت يوجد التزاحم والنزاع، عندئذٍ تكون الروح الإنسانية في ضيق ومحدودية، وتكون المشكلة مشكلة الروح عند الإنسان، وهذا يعني ضيق النظر والحرص، أما عندما تكون جميع أفعال الإنسان وأعماله في خدمة المجتمع، وموجهة إلى خير المجتمع، وتكون روحية الفرد اجتماعية بالكامل، وتعد نفسها جزءاً لا يتجزأ من المجتمع؛ بل عندما تكون سعادته وشقاؤه وكل شيء فيه تابع للمجتمع، ويدور في فلكه، فإن كل المسائل والمشكلات آنفة الذكر لن تعود موجودة، وهذه هي التعاليم الإسلامية السّامية، التي تعتبر هذه المسائل واحدة من المظاهر الاجتماعية الراقية فيه.

يقول رسول الله ﷺ:

«من أصبح ولم يهتم بأمور المسلمين فليس بمسلم»[1].

---

(١) (الكافي، ج ٢، باب الاهتمام بأمور المسلمين والنصيحة لهم، ح ١).



٤١ ـ بماذا يتعلق بقاء حياة المجتمع الإنساني وروح البشر الاجتماعية؟[(١)]

قال رسول الله ﷺ لأصحابه:

«أيّ عرى الإيمان أوثق؟ فقالوا: الله ورسوله أعلم، وقال بعضهم: الصلاة، وقال بعضهم: الزكاة، وقال بعضهم: الصيام، وقال بعضهم: الحج والعمرة، وقال بعضهم: الجهاد، فقال رسول الله ﷺ: لكل ما قلتم فضل، وليس به، لكن أوثق عرى الإيمان الحب والبغض في الله، وتوالي أولياء الله، والتبري من أعداء الله»[(٢)].

يحتمل أن بعض الأشخاص يقيمون الصلاة بحكم العادة، ولكنهم لا يعلمون حقيقتها، أو يمكن لشخص أن يقوم بفريضة

---

(١) پندها واندرزها (النصايح و المواعظ).
(٢) (الكافي، ج٢، باب الحب والبغض في الله ح٦).

الزكاة والصيام، أو يكون مجاهداً تحت تأثير غريزة معنية، لكن ما دام جوهر وجوده لم يخلص، وما دامت أحاسيسه وأفكاره لم تتعالى وتتسامى، فإنه لن يحب لأجل الحق ولن يبغض لأجل الحق، لأن الحب والبغض لأجل الله، وفي رضا الله، لا يكون باتباع العادة، جاء في الرواية عن أبي عبدالله عليه السلام:

«حق المسلم على المسلم سبع، أيسر حق المسلم على المسلم أن تحب له ما تحب لنفسك، وتكره لم ما تكره لنفسك»[1].

يقول رسول الله صلى الله عليه وآله:

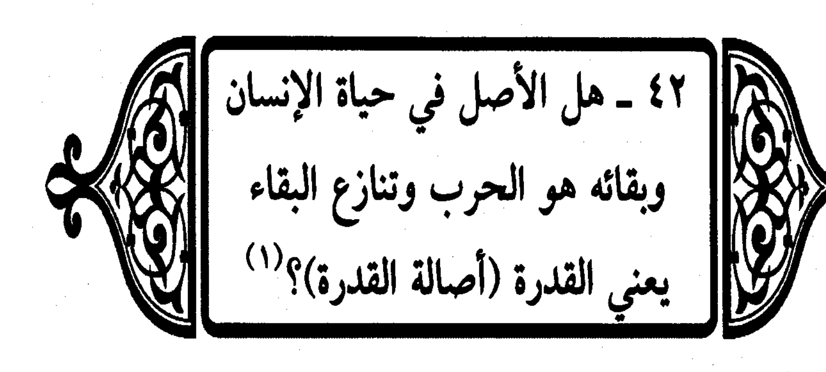
«مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعت له سائر الأعضاء بالحمى والسهر»[2].

هذا هو معنى الروح الاجتماعية، وهذا هو معنى بقاء المجتمع حي. إن حياة المجتمع في أن يكون في الفرد روح الاجتماع والحس الاجتماعي والعاطفة الاجتماعية، يعني كما قال الإمام الصادق عليه السلام:

«أيسر حق المسلم على المسلم أن تحب له ماتحب لنفسك، وتكره له ما تكره لنفسك»[3].

---

(١) (الكافي، ج٢، باب حق المؤمن على أخيه وأداء حقه ح٢).
(٢) (جملة من صفات النبي، وأفعاله، وأحاديثه، وأدعيته، ج١، ص٢٧٨).
(٣) (الكافي، ج٢، باب حق المؤمن على أخيه، ح٢).



٤٢ ـ هل الأصل في حياة الإنسان وبقائه هو الحرب وتنازع البقاء يعني القدرة (أصالة القدرة)؟[1]

لقد كان نيتشه مخطئاً في استنتاجه حول قضية أصل تنازع البقاء عند داروين، حيث قال: أن البقاء للإنسان القوي في الحياة الإنسانية وأن الحق مع الأقوى. نيتشه يعتبر أن الإنسان الكامل هو الإنسان القوي، وأن المساواة بين الأفراد والقبائل والشعوب يتنافى مع تقدم الإنسانية، والناس يجب أن يكونوا فئتين، أو طبقتين؛ سفلى وعليا، عبيد محكومون، وسادة حاكمون، وهم غاية الوجود، وهو يعتقد كذلك أن الضعفاء هم من اختارهم الدين لمواجهة الأقوياء، أمّا وبعض علماء الغرب أمثال ألكسيس

---

(١) انسان كامل (الإنسان الكامل).

كارول، يعتقد بأنه يجب إصلاح النسل البشري، ويجب منع الضعفاء من حقهم في إنجاب النسل والتوليد.

لقد اهتم الإسلام بموضوع القدرة، وبلّغ من أجله؛ لكن هناك قدرات في الإسلام أعلى وأسمى من صفة القدرة، وهي التي تنهض بالإنسانية، مثل: الرحمة والشفقة والإحسان، ليس من دين كمثل الدين الإسلامي دعا أتباعه إلى امتلاك القدرة والقوة وهذا الأمر جلي في القرآن:

﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖ﴾ (مريم - ١٢).

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفّٗا كَأَنَّهُم بُنۡيَٰنٞ مَّرۡصُوصٞ﴾ (الصف - ٤).

﴿وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيّٖ قَٰتَلَ مَعَهُۥ رِبِّيُّونَ كَثِيرٞ فَمَا وَهَنُواْ لِمَآ أَصَابَهُمۡ﴾ (آل عمران ١٤٦).

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ﴾ (الأنفال - ٦٠).

وهذه المضامين أيضاً وردت في السيرة والحديث:

يقول الرسول ﷺ:

«لا يكون المؤمن جباناً ولاحريصاً»[١].

(١) (جامع أحاديث الشيعة، ج ١٤ ص ٥١).

عن أبي عبدالله عن أبيه عليه السلام:

«لا يؤمن رجل فيه الشح والحسد والجبن، ولا يكون المؤمن جباناً ولا حريصاً ولا شحيحاً»(١).

ويقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«المؤمن نفسه أصلب من الصلد»(٢).

يقول الصادق عليه السلام:

«إن الله عز وجل فوض إلى المؤمن أمور كلها، ولم يفوّض إليه أن يكون ذليلاً، أما تسمع الله تبارك وتعالى يقول ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين، فالمؤمن يكون عزيزاً ولا يكون ذليلاً، إن المؤمنين أعز من الجبل، الجبل يستغل من بالمعول والمؤمنين لا يستغل من دينه شيء»(٣).

عن أبي جعفر عليه السلام:

«إن الله عز وجل أعطى المؤمن ثلاث خصال: العزة في الدنيا،

---

(١) (وسائل الشيعة، ج ٩ ص ٤٠ و ج ٦ ص٢٣ ـ بحار الأنوار، ج ٧٠، ص١٦١).
(٢) (شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ١٩، ص٢٤٥، ح ٣٣٩).
(٣) (تفسير الميزان، العلامة الطباطبايي، ج ١٩، ص٢٨٣ ـ في غزوة بني المصطلق، وغزوة بني النضير، مركز المصطفى).

والفلاح في الآخرة، والمهابة في صدور الظالمين، ثم قرأه ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين، وقرأ قد أفلح المؤمنون إلى قوله هم فيها خالدون»[1].

يقول الغربيون أن الحق يُؤخذ، والبعض الآخر ـ ومنها المسيحية ـ يقول أن الحق يُعطى، فهم يوصون (الرجاء أعطوا الحق) ويعدون أخذ الحق خلافاً لشأن الإنسانية والأخلاق، أما من وجهة النظر الإسلامية فإن الحق يؤخذ ويعطى، وهذا يعني أنه يستوجب العمل على جبهتين، أو وجهين لاستيفاء الحق، يعني أن الإسلام في نفس الوقت الذي يربي الفرد واحدة بالتعليم والتربية، ويحثه على إعادة الحق لصاحب الحق، أيضاً يقول لصاحب الحق المسلوب حقه: الحق يؤخذ، عليك النهوض والمواجهة لأخذ الحق.

يقول الإمام علي عليه السلام:

«لن تقدس أمة لا يؤخذ للضعيف فيها حقه من القوي غير متعتع»[2].

(١) (بحار الأنوار، ج٦٥، في قول الباقر(ع) ح٢٢).
(٢) (بحار الأنوار، ج ٣٣، الباب الثلاثون).

وهذا يعني أن الضعيف الذي لا يستطيع المطالبة بحقه غير معترف به، والمجتمع الذي يكون أفراده ضعفاء النفس إلى حد لا يمكنهم المطالبة بحقوقهم ليس مجتمعاً إسلامياً.

إن من أهم ميزات الرسول القوة الروحية والقدرة البدنية.

الفرق بين المدرسة الإسلامية ومدرسة نيتشه، إن للإنسانية عند نيتشة قيمة واحدة ليس أكثر، ألا وهي القدرة. وجميع القيم الأخرى تذوب وتصبح محواًوفداءً لهذه القدرة، لكن القدرة في الإسلام واحدة من مجموعة قيم سامية كثيرة في الإنسان، لذلك عندما تتشكل هذه القيمة مع القيم الأخرى في شخصية الإنسان يصبح للإنسان معنى آخراً، ويتخذ شكلاً آخراً، إذن فالحق والباطل والعدل والظلم يوزن ويُقيّم بمقياس القدرة وعدم القدرة، وهذا يعني أن الحق ليس شيئاً منفصلاً عن القدرة، والباطل لا ينفصل عن انعدم القدرة.

عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام عن أبيه عليه السلام عن جده عليه السلام، قال:

«مرَّ رسول الله صلى الله عليه وآله بقوم يربعون حجراً، قال: ما هذا؟ قالوا بلى، يا رسول الله. قال أشدكم وأقواكم الذى إذا رضى لم يدخله

رضاه في الإثم ولا باطل، وإذا سخط لم يخرجه سخطه من قول الحق، وإن أقدر لم يتعاط ما ليس بحق»[1].

يقول الإمام علي عليه السلام:

«أشجع الناس من غلب هواه»[2].

إذن نظرية مدرسة القدرة التي يكون الزعيق فيها للرجل أعلى، والصياح أكثر، بالإضافة إلى أنها لا تعرف القيم الأخرى، فإنها أيضاً لا تعرف حقيقة القدرة ومعناها.

إن القدرة ان تسارع إلى مساعدة الآخرين، والروح المقتدرة هي تلك التي يمثلها أمير المؤمنين عليه السلام بوصيته لأبنائه الحسن والحسين:

«كونا للظالم خصماً وللمظلوم عوناً»[3].

يقول الإمام الحسين عليه السلام:

«القدرة تذهب الحفيظة»[4].

---

(١) (من لا يحضره الفقيه، ج٤، ص٢٩١ و٨٧٨ ـ بحار الأنوار، ج٧٥، ص٢٨/١٦).

(٢) (بحار الأنوار، ج ٦٧، باب ترك الشهوات والأهوا، ح ٥).

(٣) (شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد ج١٧، ص٥ ـ بحار الأنوار ج ٤٢، ص ٢٤٥ و ج٩٧ ص٩٠).

(٤) (شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج ١٨، ص٤٦).

وهذا يعني أن الإنسان عندما يمتلك القدرة ويحس بها، يذهب الحقد من صدره ولا يشعر بالضغينة تجاه الآخرين، على عكس الإنسان الضعيف، فالإنسان الضعيف يشعر دائماً بالحقد على الآخرين ويحسدهم على ما هم فيه، يقول أمير المؤمنين عليه السلام:

«الغيبة جهد العاجز»[1].

فالقدرة في الإسلام قيمة إنسانية وكمال إنساني، والإسلام بدون شك يرفض الإنسان العاجز الضعيف:

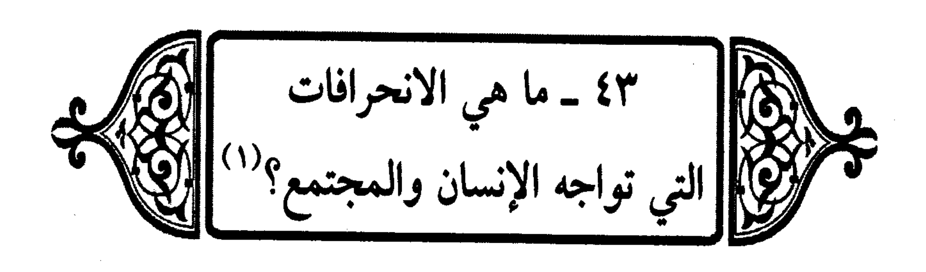
قال رسول الله صلى الله عليه وآله:

«إن الله يبغض المؤمن الضعيف»[2].

لكن الإسلام لا يعد القدرة القيمة الوحيدة في الإسلام، بل يقول بالقيم الأخرى، الشيء الثاني هو أن القدرة في النظرة الإسلامية تختلف عن القدرة عند نيتشه، أو تعبير القدرة عند السفسطائية؛ فالإسلام يعرّف القدرات عند الإنسان ويعمل على تحريكها وتقويتها، فتكون النتيجة غير تلك التي قال بها نيتشه.

---

(١) (شرح نهج البلاغة ابن أبي الحديد ج٩، ص٦٦ و ج٢٠ ص ١٧٩ - بحار الأنوار ج٧٢، ص٢٦٢ وج٧٥ ص١٣).
(٢) (وسائل الشيعة، ج١٦، ص١٣٢).



٤٣ ـ ما هي الانحرافات التي تواجه الإنسان والمجتمع؟[1]

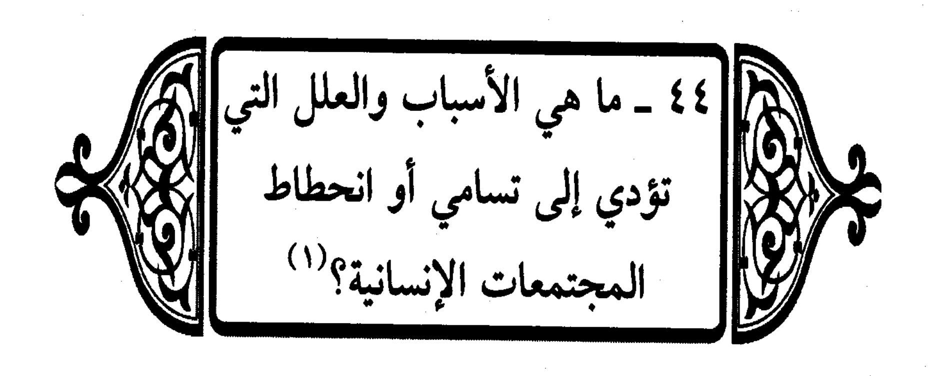
الانحرافات على نوعين:

أ ـ الانحرافات المخالفة للقيم، وهي في مقابل القيم كالظلم مقابل العدل، خنق الحرية ومصادرتها مقابل الحرية، التفلُّت من العبادة واللامبالاة مقابل معرفة الله وعبادته، السفاهة والحماقة مقابل التعقل والفهم والحكمة.

ب ـ في بعض الأحيان تقف الانحرافات أو ما يخالف القيم في مقابل القيم، وأكثر انحرافات البشر تكون من هذا النوع من الانحرافات؛ أي ضد القيم في مقابل القيم، وهذا النوع من الانحراف قد ينهزم بسرعة فتنتصر القيم الحقيقية، لكن في بعض

(١) انسان كامل (الإنسان الكامل).

الأحيان تنمو بعض القيم الإنسانية بحالة شبيهة بالحالة السرطانية، وبالتالي تسحق قيماً أخرى موجودة في الإنسان وتمحوها، فإذا أخذنا الزهد والتقوى على سبيل المثال، الزهد هو قيمة إنسانية، وهو من المعايير الإنسانية، لكن في بعض الأحيان نرى أن فرداً أو مجتمعاً ما يميل إلى الزهد، ويرغب فيه إلى حد الإمّحاء والذوبان، بحيث يصبح كل شيء عنده زهد، مثله كمثل إنسان ينمو أحد أعضائه، في حال أن بقية الأعضاء تبقى عاجزة وضعيفة؛ كأن ينمو أنفه فيما بقية الأعضاء لا تنمو.



٤٤ ـ ما هي الأسباب والعلل التي تؤدي إلى تسامي أو انحطاط المجتمعات الإنسانية؟[1]

في القرآن إشارة إلى أربعة عوامل مؤثرة:

١ ـ العدالة والظلم، وردت في كثير من الآيات:

﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَجَعَلَ أَهۡلَهَا شِيَعٗا يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ (القصص ـ ٢).

٢ ـ الاتحاد والتفرق: في سورة آل عمران آية ١٠٣ دستور صريح وواضح يدعو إلى الاتحاد والاعتصام بحبل الله، ويحذر من التفرقة كي لا يصيبهم ما أصاب الشعوب الأخرى:

---

(١) مشخصات اسلام (مواصفات الإسلام).

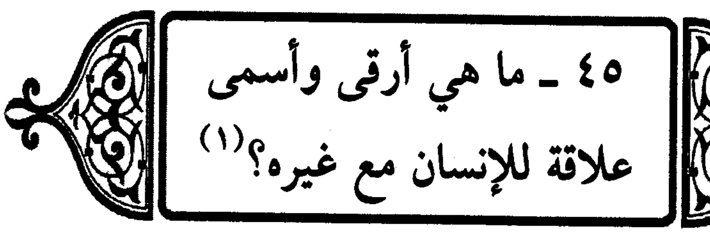
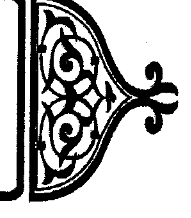
﴿وَٱعْتَصِمُوا۟ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا۟﴾ (آل عمران ـ ١٠٣).

﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ﴾ (آل عمران ١٠٥).

٣ ـ القيام بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتركها: في الآية ١٧٩ المائدة إشارة إلى سبب خروج بني إسرائيل من الرحمة الإلهية، وهذا السبب يعود إلى عدم نهي بعضهم بعضاً عن المنكر:

﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ (مائده ـ ٧٩).

٤ ـ الفسق والفجور والفساد الأخلاقي: هناك سلسلة طويلة من الآيات التي تتحدث عن هلاك الشعوب لأسباب، منها؛ الترف والمترف، وآيات أخرى تتحدث عن الظلم وظلم النفس، ظلم القوم لأنفسهم، إن كل فسق وكل خروج عن الطريق القويم والمسير الصحيح للإنسانية هو ظلم.

٤٥ ـ ما هي أرقى وأسمى علاقة للإنسان مع غيره؟[1]

العبادة نوع من أنواع العلاقة التي يقيمها الإنسان مع الله، وهي علاقة خضوع وشكر وثناء، هذا النوع من العلاقة يقيمها الإنسان فقط مع الله، وتصدق فقط مع الله، ولا تصدق مع غيره ولا تجوز.

إن معرفة الإله الواحد بعنوان أنه أكمل ذات وأكمل صفات، ومنزه عن كل نقص وضعف، ومن ثم معرفة علاقة الله بالعالم لجهة خلقه وحفظه وفيضه عليه، وعطفه ورحمانيته، تترك فينا ردة فعل معينة، هذا الفعل هو ما يعبر عنه بالعبادة؛ ومعرفة الله بهذه الصفات توجب عدم جعل أي مخلوق شريكه في مقام العبادة؛ لذلك نرى أن القرآن الكريم يؤكد ويصرّ على أن العبادة

(١) جهان بيني توحيدي (النظرة التوحيدية إلى العالم).

تكون خالصة لله تعالى وخاصة به؛ وأنه ليس من ذنب كذنب الشرك به.

العبادة نوعان:

ـ قولية: وهي سلسلة من الأعمال العبادية، التي نقولها في الصلاة والحج وأكثر العبادات.

ـ عملية: مثل القيام والركوع والسجود.

وأكثر العبادات هي قولية وعملية في آن.

أعمال الإنسان على نوعين:

١ ـ الأعمال الخالية من أي مقصود خاص، وهي ليست علامة لشيء آخر؛ بل تكون من أجل أثرها الطبيعي التكويني الصرف، كالعمل الزراعي مثلاً، فإنه ينجز بسبب أثره الطبيعي فقط.

٢ ـ الأعمال التي تكون علامة لسلسلة مقاصد أخرى، أو إبراز نوع من الإحساسات والشعور، كأن يهز المرء برأسه كعلامة للتصديق، أو الانحناء كإشارة إلى تكريم شخص ما وتعظيمه.

إن أكثر أعمال الإنسان هي من النوع الأول، وحال العبادة سواء العملي أو القولي هو عمل ذو معنى، بحيث يبرز بأقواله

العبادية حقائق معينة، وبأفعاله العملية العبادية مثل الركوع والسجود يريد أن يبين أو يقول تلك التي يقولها بالأذكار القولية.

إن ما يقوم به الإنسان في العبادات القولية والعملية، والتي هي ردة فعل خاصة لعبد مقابل الله الخالق المتعال، ولا تصدق على موجود آخر، إلا الله ولا تجوز لغيره، هي عدة أشياء:

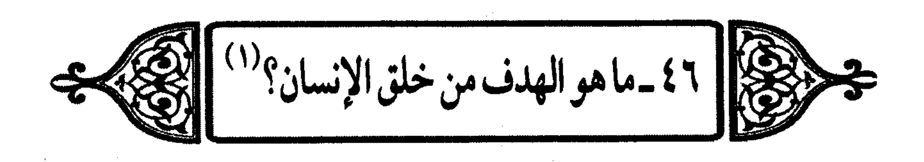
١ ـ حمد الله وثنائه، بصفاته وأوصافه الخاصة.

٢ ـ تسبيح الله وتنزيهه، من أي عيب أو نقص.

٣ ـ شكر الله، على أساس أنه منشأ كل نعمة، وأصل كل شيء.

٤ ـ إظهار التسليم المحض والإطاعة الكاملة مقابل الله، والإقرار بأنه المطاع من دون شرط، وأنه المستحق لكل طاعة وتسليم.

٥ ـ أنه لا شريك له في كل الشؤون والأمور، وليس سواه من كمال مطلق وهو المنعم الأصلي، ولا يستحق سواه من الموجودات الإطاعة والتسليم المحضين.



٤٦ ـ ما هو الهدف من خلق الإنسان؟[1]

إن مسألة «ما الغاية والهدف من خلق الإنسان» تعود إلى ماهية الإنسان، وما هي الاستعدادات الكامنة فيه، وما هي الكمالات الممكنة له، بناء على ذلك، فإن البحث في مسألة الغاية والهدف من خلق الإنسان ليس ممكناً بحثه بشكل مستقل عن هذه الأمور.

إن هدف بعث الأنبياء بالطبع هو من أجل تكميل الإنسان، ومده بالعون والمساعدة، والأخذ بيده إلى الكمال؛ لأنه في واقع الأمر يوجد في الحياة الفردية والاجتماعية نوع من الفراغ والنقص، والأفراد العاديون لا يمكنهم ملء هذا الفراغ.

أما بمساعدة الوحي فقط يمكن للإنسان أن يتحرك ويسير باتجاه سلسلة الكمالات، والقرآن يصرّح:

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات ٥٦).

---

(١) هدف زندگي (هدف الحياة).

بهذا المعنى يكون الهدف الأساسي من الحياة في منطق الإسلام هو المعبود، ولا يمكن أن يكون أي شيء آخر سواه؛ يعني أن يصبح الإنسان إنساناً، أو يصنع إنساناً يجب أن يكون شعاره فقط الله، وليس غير الله، وكل شيء سوى ذلك ليس له أي إصالة أو استقلال، والهدف الأصلي والأساسي في الإسلام هو أن كل شيء يدور حول محور الله وفي فلكه، سواء لجهة الهدف من بعث الأنبياء، أو لجهة الهدف من الحياة، فالإنسان الفرد بعنوان «العبد المخلص» هو الإنسان الذي ليس في وجوده حاكم سوى فكر الله، وتعاليمه تعالى.

﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام - ١٦٢).

في القرآن الكريم تعابير وبيانات مختلفة حول مسألة هدف مجيء الأنبياء وبعثهم.

يقول في القرآن:

﴿يَا أَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ (الأحزاب: ٤٥ ـ ٤٦).

وفي موضع آخر:

﴿وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَاتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِ﴾ (المائدة - ١٦).

وفي مكان آخر يبيّن أن هدف بعث الأنبياء هو إقامة العدالة الاجتماعية:

﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ (الحديد ـ ٢٥).

هذه الآيات تدل على أن القرآن يقول بالعدالة ويقبلها؛ بل يقول بأهميتها العظيمة، ويعتبرها قيمة كبيرة، ولكن ليس بعنوان أنَّها الهدف النهائي، أو أنها هي المقدمة لكي يحيا الإنسان في هذه الدنيا حياة سعيدة هنيئة، أي بمعنى السعادة التي ندركها نحن، بل إن حياة الدنيا السعيدة في الحدود التي يقبلها الإسلام، هي الحياة التي تكون جميع جوانبها وشؤونها في ظل التوحيد العملي، يعني أن يكون الإنسان خالصاً لله، ويعدّ نفسه مقدمة لذلك، والإنسان في القرآن هو الموجود الذي يؤمن أن ليس من شيء سوى الله تعالى يستطيع أن يؤمن سعادته، يعني أن الإنسان هو موجود ومخلوق لا يمكن لأحد غير الخالق أن يوفّر له السعادة والرضا الكاملين، ولا أحد سواه يستطيع أن يملأ فراغه الروحي، ويجعله قوياً مطمئناً في مقابل ضعفه.

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾ (الرعد ـ ٢٨).

فهرس المراجع

١ ـ القرآن الكريم.
٢ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبدالباقي.
٣ ـ قاموس القرآن.
٤ ـ أصول الكافي ج١و٢، الشيخ الكليني.
٥ ـ إنسان درقرآن، الشهيد مرتضى مطهري.
٦ ـ إنسان كامل، الشهيد مرتضى مطهري.
٧ ـ إنسان وسرنوشت، الشهيد مرتضى مطهري.
٨ ـ تفسير سورة اليل، الضحى، الانشراح، الشهيد مرتضى مطهري.
٩ ـ شناخت، الشهيد مرتضى مطهري.
١٠ ـ اخلاق جنسى، الشهيد مرتضى مطهري.
١١ ـ آشنايي باقرآن، الشيهد مرتضى مطهري.
١٢ ـ شناخت قرآن، الشهيد مرتضى مطهري.
١٣ ـ ختم نبوت، الشهيد مرتضى مطهري.
١٤ ـ مشخصات اسلام، الشهيد مرتضى مطهري.
١٥ ـ ده گفتار، الشهيد مرتضى مطهري.
١٦ ـ تعليم وتربيت، الشهيد مرتضى مطهري.
١٧ ـ جهان بينى توحيدى، الشهيد مرتضى مطهري.
١٨ ـ هدف زندگي، الشهيد مرتضى مطهري.
١٩ ـ پندها واندرزها، الشهيد مرتضى مطهري.
٢٠ ـ جامعه وتاريخ، الشهيد مرتضى مطهري.
٢١ ـ شرح تجريد الاعتقاد، خواجه نصير محمد طوسي، (شرح جمال الدين عبدالله حلي).

فهرس مراجع الأحاديث

١ ـ تفسير الميزان؛ مجلد ١و٦و١٩ العلامة طباطبائي.

٢ ـ بحار الأنوار؛ مجلد ١ و٢و ٤و ٥ و٧ محمد باقر مجلسي ٨ و٩ و١٤ و٢٦ و٢٩ و٣٢ و٣٣ و٤ و٣٩ و٥٤ و٦٥ و٦٦ و٦٨ و٧٠ و٧٢ و٧٤ و٧٥ و٨٨ و٩٧ و٦٧ و٨٦.

٣ ـ الكافى؛ مجلد ١و٢ و٦ و٨ الشيخ الكليني.

٤ ـ جامع احاديث الشيعة، مجلد ١٣و ١٤ السيد بروجردي.

٥ ـ وسائل الشيعة، مجلد ١و٦و٩و١١و١٦ الشيخ الحر العاملي.

٦ ـ شرح نهج البلاغة الإمام علي عليه السلام، مجلد ١و إبن أبي الحديد ٦ و٩ و١٠ و١١ و١٦ و١٨ و١٩ و٢٠.

٧ ـ جملة من صفات النبي وافعاله، مركز المصطفى وأحاديثه، وأدعيته، مجلد ١ للدراسات المرجع الديني الأعلى السيد السيستاني.

٨ ـ بحث في معرفة الله تعالى عن طريقة معرفة.

٩ ـ النفس، شرح رسالة الحقوق للإمام زين العابدين.

١٠ ـ العقائد الإسلامية، مجلد ١.

١١ ـ تفسير آية وما كان لبشر ان يكلمه الله.

١٢ ـ ميزان الحكمة، محمد الريشهري.

١٣ ـ نزهة الناظر وتنبيه الخاطر، الحلواني.

١٤ ـ من لا يحضره الفقيه، مجلد ٤ و٧ الشيخ الصدوق.

١٥ ـ غرر الحكم ودرر الكلم، عبد الواحد بن محمد تميم آمدى.

مقتبسات من كلام الإمام الخميني (قدس سرّه) بمناسبة شهادة الشهيد الأستاذ مرتضى مطهري

* أتقدم من أولياء العظام والأمة الإسلامية، خصوصاً الأمة الإيرانية المجاهدة، بأحر التعازي والتبريكات بشهادة المفكر العظيم والشهيد الكبير والفيلسوف والفقيه المرحوم الحاج شيخ مرتضى مطهَري «قدَس سرَه»، إن كل العزاء لفقد هذه الشخصيَة الفذّة، وهو الذي قضى عمره الشريف في سبيل أهداف الإسلام المقدسة، وفي محاربة الإنحرافات والضلال، والعزاء لشهادة رجل قلَ مثيله في معرفة الإسلام والقرآن وفنونها المختلفة.

* لقد فقدت إبناً عزيزاً على قلبي، وجلست في عزائه وحزنه، وهوالذي يُعدُ شخصيته من الشخصيات التي أعتبرها حاصل عمري، لقد ثلم بفقده في الإسلام ثلمة لايسدَها شيء آخر. وكل التبريكات لوجود هذه الشخصية المخلصة والمفادية التي شعت نوراً في حياتها، وتشعَ بتجلَيها نوراً بعد مماتها.

* أنا أفتخر في تربية هكذا أبناء، وأُبارك للامة الإسلامية والإسلام العظيم ومعلمي البشرية هذه الشخصية، التي تبعث بشعاعها المتلألأ الساطع الحياة في الأموات، وتضيء بنورها الظلمات.

* إنني برغم فقدي ابناً عزيزاً على قلبي وقطعة من كبدي، غير أنني أفتخر بوجود هكذا أبناء في الأسلام.

* إن مطهري كان نادر النظر في طهارة الروح وقوَة الإيمان وقدرته على البيان، لقد ارتحل والتحق بالملأ الاعلى، لكن فليعلم الخبيثون وأصحاب الأفكار المنحرفة، أنَ برحيله لن تذهب شخصيته الإسلامية والعلمية والفلسفية، إنَ آثار الشهيد مطهري جميعها تعليمية مفيدة، وتبعث الحياة والبهجة في الروح، ومواعظه ونصائحه، كلها عظيمة الإفادة وتبعث في النفس الفرح والسرور.

* لقد كان مطهري ابناً عزيزاً وسنداً قوياً للحوزة الدينيَة، وخادماً عظيم الفائدة للأمة والوطن، أسأل الله تعالى أن يتغمَده برحمته ويحشره مع خدَام الإسلام العظماء.

* إني أُوصي الطلاب والمفكرين والمتنورين أن لايسمحوا أن تضيع كتب هذا المعلم والمفكر الكبير تنسي بدسائس ومكائد أعداء الإسلام.

المحتويات